

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

اليافعي شاعراً

إعداد الطالبة

إيمان علي البلوي

إشراف
الأستاذ الدكتور زايد خالد مقابلة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في الأدب/ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2010م

الإهداء

إلى والدي الحبيب أطال ا في عمره وحفظه من كل شر

إلى أمي الغالية رمز العطاء ....

إلى بناتي راما و رؤوم

إلى أهلي جميعاً وصديقاتي مع المحبة والتقدير.....

إيمان علي البلاوي

الشكر والتقدير

فاسأل ا تعالى أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم,ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان,لأستاذي الأستاذ الدكتور زايد المقابلة الذي لم يوفر جهدا في مساعدتي,والذي لولا عظيم جهده وإرشاداته الطيبة ما كان لهذا العمل أن يظهر في صورته الحالية....

كما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير لأساتذتي الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور شفيق الرقب, والأستاذ الدكتور خليل الرفوع, والدكتور عدنان عبيدات, على الملاحظات والتوجيهات القيمة التي وجهوها إلي, والتي وجدت طريقها إلى هذا البحث,ليخرج على أحسن وجه, بإذن ا تعالى.

إيمان علي البلوي

فهرس المحتويات

الملخص باللغة العربية

اليافعي شاعراً

إيمان علي سليمان البلوي

جامعة مؤته2010م

يرمي هذا البحث إلى دراسة شعر اليافعي موضوعياً وفنياً، إذ كانت حياته في العصر المملوكي ومولده سنة 698هـ، وكانت وفاته سنة 768هـ بمكة

يعد اليافعي مؤلفاً ومؤرخاً صوفياً له العديد من المؤلفات, كال مؤلفاته بأبياته الشعرية المبعثرة في كتبه، ولقد بدت في شعره سمات موضوعية وفنية متعددة في بناء قصائده، ونظم الصور الشعرية التي تقوم بوظائفها المهمة في السياق الشعري،وبينت الدراسة الرمز الذي يعد ظاهرة مهمة في أشعاره الصوفية، ومما يميز شعره أيضاً التناص الأدبي والديني, والموسيقى الشعرية في قصائده التي جاءت على عدة بحور منها الطويل الذي احتل المركز الأول والوافر والبسيط. ومثلما كانت له عناية بالوزن، كانت له عناية بالقوافي حيث يميل إلى القوافي الساكنة ذات الجرس الموسيقي الهادى.

وأخيراً، فإن هذه الدراسة كشفت لنا عن شاعر صوفي ينظم من أجل الوازع الديني والحب والشوق الإلهي.

Abstract

AL-YAFI'E AS A POET

Eiman Ail Suleiman Alblewi

Mu'tah University, 2010

This research aims to collect Al-Yafi'es poetry, studying it in objective and artistic way. Al-Yafie was born in 698 A.H during the Mamluk reign, his death was in Mekah 768 A.H Al-Yafi'e is considered as a soufi author and historian who had several works who crowned his poetry with scattered poetry verses, his poetry reflected sevetal artistic and objective traits, he has his own feature in composing poems, discovering the poetic images that accomplish important within the poetic context Moreover, the study shows the symbol which is considered an important phenomenon in the Soufi's poetry, and the religious and literary texting, as well as musical representation in his poems.

His poems come into several forms as the long one which occupied the first position, the Wafir or (the plenty) and the simple, he concerned the poetic weight, the rhythmes since he tended to stable ryhthems with quiet musical tone.

Finally, the study identified a Soufi poet who expressed poetry for religious incentive love, and the almighty eagerness.

المقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة شعر اليافعي ، موضوعياً وفنياً، إذ إن عبدا بن أسعد اليافعي اشتهر مؤلفاً ولم يعط شعره الحق الوافي من الدراسة حتى عد من الشعراء المغمورين.

فقد جاء موضوع الرسالة، بناء على اقتراح أُستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور زايد المقابلة، لأن شعره عانى من التجاهل والإهمال من قبل الدارسين، وبعد دراسة مستفيضة لشعره تولدت لدي الرغبة في إظهار عنوان هذهِ الرسالة، لما يتوافر فـي شعره من سمات فنية بارزة، على أنه وفي حدود علمي لا توجـد دراسـة سـابقة، تناولت الموضوع.

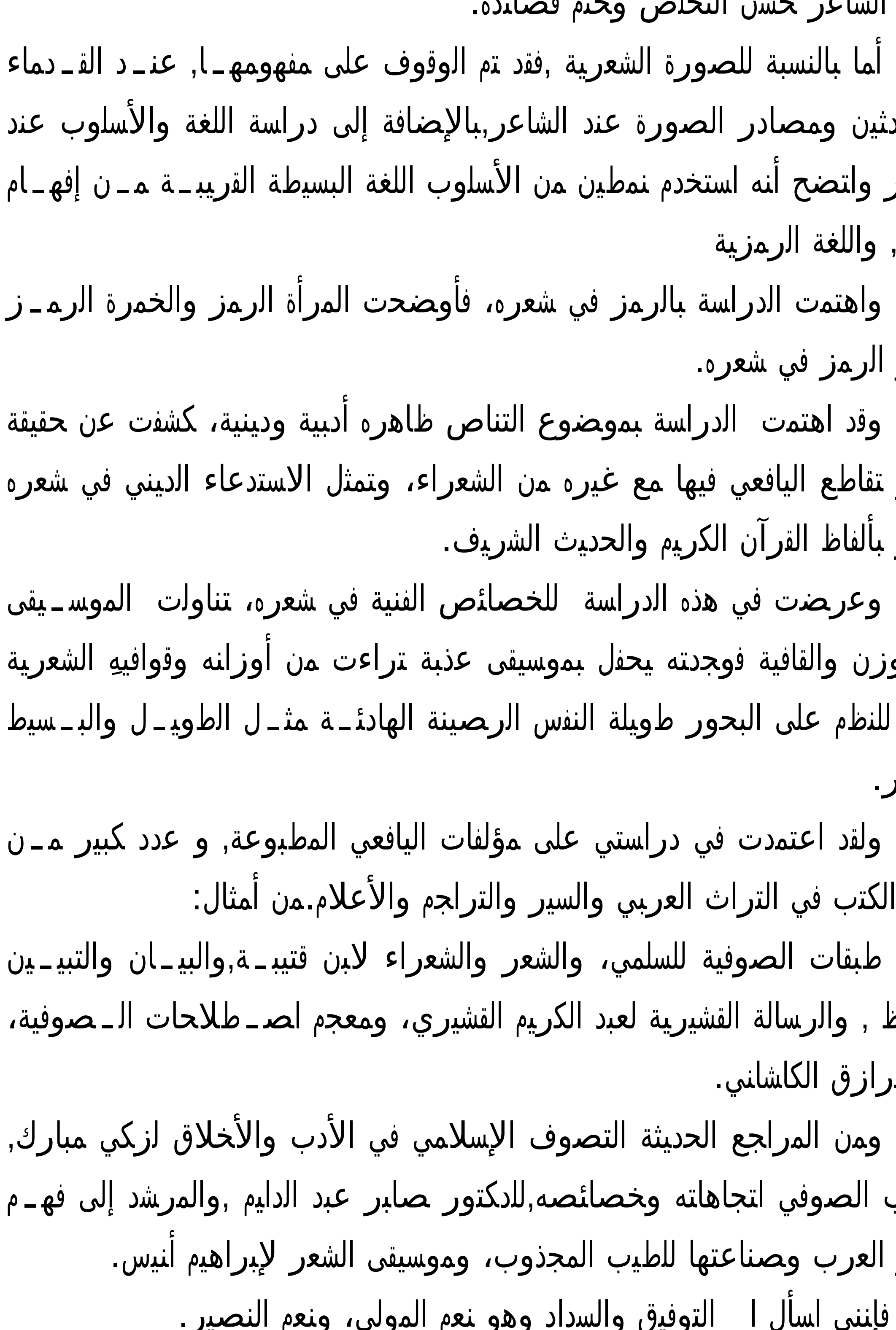
وقد جاءت هذهِ الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة بالاعتماد على المنهج الفني التحليلي الذي يتلاءم وموضوع الدراسة، من حيث الكشف عن جمالية شعر اليافعي من الناحيتين الموضوعية والفنية.

يتناول الفصل الأول تمهيداً لترجمته بدراسة الحياة السياسية والاجتماعية في عصره،واسمه ونسبه وأخباره ورحلاته ومؤلفاته المطبوعة والمفقودة.

ولقد تبين لي من خلال الدراسة أن الشاعر نشأ زمن حكم بني رسول لليمن, حيث ازدهر التعليم وكثرت حركة الترجمة والتأليف في مختلف العلوم وفي شـتى أقطار العالم الإسلامي. وكان شاعرنا شاهداً على عصره, إذ خاف عدداً كثيراً مـن المؤلفات.

ويتناول الفصل الثاني دراسة القضايا الموضوعية في شعره، فتحـدثت عـن مديحه للرسول والصحابة ومشايخ الصوفية، وحبه الإلهي وشعره الوعظي، وشـعر نشر القواعد الصوفية، ولقد اتضح أن شعره نابع من عاطفة دينية صوفية قوية.

وما يميز نظمه أنه يهدف لغاية دينية وليس من أجل المال والشهرة الشعرية ,فهو ينظم من أجل المحبة الخالصة عز وجل والشوق له والحب للرسول صـلى ا عليه وسلم وللعلماء وأهل التصوف.



وخصصت الفصل الثالث لدراسة شعره دراسة فنية بحثت فيه بناء القصيدة إذ ظهر لي أنه التزم بناء القصيدة العربية التقليدية، إذ التزم أساليب القدماء وإن كان في بعض قصائده يدخل مباشرة بالغرض الرئيس الذي من أجله أوجد القصيدة، ولقد أحسن الشاعر حسن التخلص وختم قصائده.

أما بالنسبة للصورة الشعرية ,فقد تم الوقوف على مفهومها, عند القدماء والمحدثين ومصادر الصورة عند الشاعر,بالإضافة إلى دراسة اللغة والأسلوب عند الشاعر واتضح أنه استخدم نمطين من الأسلوب اللغة البسيطة القريبة من إفهام العامة, واللغة الرمزية

واهتمت الدراسة بالرمز في شعره، فأوضحت المرأة الرمز والخمرة الرمز والسر الرمز في شعره.

وقد اهتمت الدراسة بموضوع التناص ظاهره أدبية ودينية، كشفت عن حقيقة أشعار تقاطع اليافعي فيها مع غيره من الشعراء، وتمثل الاستدعاء الديني في شعره بالتأثر بألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف.

وعرضت في هذه الدراسة للخصائص الفنية في شعره، تناولت الموسيقى في الوزن والقافية فوجدته يحفل بموسيقى عذبة تراءت من أوزانه وقوافيهِ الشعرية وميله للنظم على البحور طويلة النفس الرصينة الهادئة مثل الطويل والبسيط والوافر.

ولقد اعتمدت في دراستي على مؤلفات اليافعي المطبوعة, و عدد كبير من أمات الكتب في التراث العربي والسير والتراجم والأعلام.من أمثال:

طبقات الصوفية للسلمي، والشعر والشعراء لابن قتيبة,والبيان والتبيين للجاحظ , والرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري، ومعجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرازق الكاشاني.

ومن المراجع الحديثة التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق لزكي مبارك, والأدب الصوفي اتجاهاته وخصائصه,للدكتور صابر عبد الدايم ,والمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للطيب المجذوب، وموسيقى الشعر لإبراهيم أنيس.

وبعد، فإنني اسأل ا   التوفيق والسداد وهو نعم المولى، ونعم النصير.

الفصل الأول

عصر اليافعي (698هـ/768هـ)

1.1 الحياة السياسية:

عندما نتحدث عن عصر اليافعي من الناحية السياسية ينبغي أن نشير إلى أن شبه الجزيرة العربية بما فيها الحجاز واليمن وحضرموت ومسقط كانت خاضعة لمصر في ذلك الوقت، لذا فسيكون الحديث منصباً على دولة (المماليك البحرية) التي حكمت البلاد من عام (648هـ)، حتى عام (874هـ) قبل أن ينتقل الحكم إلى المماليك الشراكسة.

ثم نتحدث عن دولة بني رسول ، وهي الدولة التي حكمت اليمن في هذه الفترة التي كان اليمن فيها خاضعاً للسلطة العليا في مصر.

ولا يكتمل الحديث إلا بالكلام عن المغول الذين يبدأ عصرهم بسقوط بغداد في قبضتهم على يد هولاكو عام (656هـ)، وينتهي بدخول العثمانيين مصر على يد السلطان سليم الفاتح عام (923هـ).

المصادر التاريخية تقول: إن سلطة المغول امتدت من حدود الهند شرقاً إلى حدود سوريا غرباً، وقد تخللها سيادة الفرس والترك فترة قصيرة في فارس والعراق وحكم الترك من حدود سوريا شرقاً إلى آخر حدود مصر غرباً، وانحصرت سيادة العرب في اليمن والمغرب.

وفي الوقت نفسه كانت مصر والشام في حوزة السلاطين المماليك من عام (648هـ) إلى (923هـ) وهم أتراك شراكسة[1].

خلف بنو رسول الأيوبيين في حكم اليمن عام (626هـ) واستمر حكمهم حتى عام (884هـ) إذ استخلف الملك المسعود الأيوبي على اليمن (علي بن رسول) فبقي بها نائباً عن الأيوبيين الذين كانوا يحكمون مصر والشام، ثم استقل علي بن رسول

---

(1) ينظر: زيدان، جرجي، (1967)، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت: 110/3؛ سليم، محمود رزق، (1965)، عصر سلاطين المماليك، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة: 9/3، سلام، محمد زغلول، (1970)، الأدب في العصر المملوكي، دار المعارف، مصر، ج1, 2.

بملك اليمن وأسس الدولة الرسولية في (تعز) واستمر في الحكم إلى أن قتـل عـام (648هـ)، ثم خلفه ابنه الملك المظفر فطال به الأمد في حكم البلاد حتى مات عام (694هـ) [1].

أما عن أهل هذه القبيلة فيقول الخزرجي "إن نسب آل رسول ينتهي إلى محمد بن هارون أحد وزراء الأيوبيين بمصر، وأن نسب محمد بن هارون يرجع إلى جبلة ابن الأيهم آخر ملوك غسان في الشام، والذي ينتهي نسبهم إلى زيد بن كهلان بـن سبأ الأكبر"[2]، ولقد قام بمظاهر الاستقلال بملك اليمن بأن أمر بضرب السكة باسمه كما أمر بأن يدعى له على المنابر في سائر أنحاء اليمن، هذا إلى جانب أنه أرسـل هدية للخليفة المستنصر ببغداد، وطلب منه تقليداً وتشريعاً بالسلطنة والنيابة عنه, بهذا يكون قد تمكن من الاستقلال تماماً بحكم اليمن، ثم جاء من بعده ابنه المظفر[3].

استمر بنو رسول في الحكم ما بين القوة والضعف إلى أواخر القرن الثـامن الهجري، حيث استفحل شأن الأئمة خصوصاً في جبال اليمن، وانحصر نفوذهم فـي (تهامة) وبلاد (تعز) إلى أن ضعف أمرهم ثم تلاشى فـي أواخـر القـرن التاسـع الهجري، وكان آخر ملوكهم هو المؤيد حسين بن الملك الظاهر بن الأشرف، وكـان ذلك عام (858هـ) [4].

ومن المآخذ التي سجلت على بني رسول أن القاضي محمد الحجري اليمنـي يذكر نقلاً عن القلقشندي أن ملوك الدولة الرسولية كانت أوقـاتهم مقـصورة علـى لذاتهم والخلوة مع خطاياهم وخاصتهم من الندماء والمطربين[5].

---

(1) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: 110/3-111.

(2) الخزرجي، علي الحسن (ت: 812)، (1911م)، العقود اللؤلؤية فـي تـاريخ الدولـة الرسولية، ، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحـوث اليمنـي، ج1، ص62.

(3) الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: 51/1-54.

(4) المرجع نفسه,54/1.

(5) شلبي، أحمد، (1978)، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية: 276/7.

في هذا الجو عاش العالم الجليل عبد ا بن أسعد اليافعي موضوع الدراسة، أي زمن حكم بني رسول لليمن، التي تعد أعظم دولة وطنية يمنية عرفها التاريخ منذ سقوط الدولة الحميرية، وقد قامت بإنهاض البلاد وتعميرها ونشر العلوم بها ونبـغ من أفرادها علماء عباقرة حتى في الطب والرياضـيات والتـاريخ وغيرهـا مـن العلوم[1].

وأما عن نهاية حكم بني رسول:فقد استولى بنو طاهر على الحكم بعد سـفر المسعود آخر سلاطين بني رسول إلى الديار المصرية، عندما رحل السلطان مسعود إلى مصر استبد عبيده بالسلطنة وأساءوا التصرف فلجأ الناس إلى بني طاهر أبـرز عمال بني رسول لينقذوهم من عنت هؤلاء العبيد، وتقدم بنو طاهر فأزالوا سـلطان العبيد، واستبدوا بالسلطنة لصالحهم هم، فسقطت دولة وقامت دولة[2].

2.1 الحياة الاجتماعية:

الحياة الاجتماعية في اليمن هي امتداد لها في مصر غير أن اليمن كان لهـا طابعها الخاص,حيث طبيعة البلاد الجغرافية تختلف من إقليم إلى إقليم فمنطقة تهامة ذات المناخ الحار وهي تقع على ضفة البحر الأحمر وتمتاز أرضها بالخصوبة، ثـم المنطقة الصحراوية الشرقية، وهي حضرموت، حيث المناطق الأثرية، ثم المنطقـة الجبلية ذات المناخ المعتدل، وهي تمتاز بزراعة البن والحبوب فكـان فيهـا عـدة طبقات: طبقة الحكام والسلاطين: وهم السلطة العليا في الدولة ويختلفون عن عامـة الشعب في الزي واللباس و مظاهر الفخامة والعيش في القصور التي تجمـع كـل أسباب الترف وتضم أماكن للأعمال الرسمية، واجتماعات السلطان برجال الـسلطنة اقتداء بالمماليك في مصر.

وهناك طبقة العلماء والفقهاء إذ أن ملوك بني رسول كانوا يحبون العلم والعلماء[3].

---

(1) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي: 276/7.

(2) المصدر نفسه: 455/7.

(3) للمزيد انظر: سليم، عصر سلاطين المماليك، ج1، ج3؛ زيـدان، تـاريخ آداب اللغـة العربية، ج3.

ويقسم صاحب صبح الأعشى الوظائف التي كان يشغلها رجال القلم في مصر إلى قسمين دينية ودنيوية، الأولى مثل القضاء والإفتاء ووكالة بيت المـال ونقابـة الأشراف والحسبة ومشيخة الشيوخ والخطابة والتدريس.

أما الديوانية مثل الوزارة والجيش وبيت المـال والعـاملين فـي الأسـواق والخزائن والملاك والمواريث وغيرها.

أما الطبقة الثالثة هي طبقة العامة: وهـم أصـحاب الحـرف والـصناعات الصغيرة والعطارون والكحالون والوراقون والجـزارون والفلاحـون وأصـحاب الزراعة والحرث والأجراد من عمال الصناعة والخدم والـصناعة، وهـم الطبقـة الكادحة في أي مجتمع، حيث تعاني قسوة الحياة وفرض الضرائب وشظف العيش.

وكان للمجتمع اليمني عادات وتقاليد فـي الأعيـاد والأفـراح والمناسـبات والمراسم كما كانت لهم بعض العادات المستغربة مثل شرب الخمر والإقبال علـى الحشيش يدخنونه ويمضغونه ويعتقدون التنجم، كما أصيب المجتمـع الـيمن بعـدة كوارث نتيجة لكثرة الحروب والحياة المضطربة وتحول التجارة إلى الحجاز[1].

ولقد اهتم بنو رسول ببناء المدارس ودور الكتب، إذ أن عمر بن علـي بـن رسول وهو من أعظم ملوك بني رسول بنى مدرستين في تعـز همـا: الوزيريـة والعزابية، وثلاث مدارس بزبيد ومدرسة بالجند وأخرى بعدن، كما بنى بكل قريـة من قرى تهامة مسجداً، وأوقف عليه وقفاً جيداً[2].

ودرس الملك المظفر يوسف صاحب جامع المظفرية في تعز الحديث والفقـه والنحو وغيره، واشتغل منذ شبابه بدراسة الطب، ومن أبرز أعماله التي قام بها سنة (659هـ) توجهه إلى مكة معتمراً، واغتنم فرصة وجوده ليقوم ببعض أعمال البـر والإحسان حيث قام بغسل الكعبة بنفسه، وطيبها ونثر عليها الذهب والفضة وكساها، فكان أول من كسها بعد سقوط بغداد، وفي سنة (661هـ) أرسـل كـسوة لهـا، وأخرى للضريح النبوي.

---

(1) القلقشندي،أحمد بن علي الغزاري (ت: 821هـ)، (1922م)، صبح الأعشى في قـراءة الإنشا،دارالكتب المصرية، القاهرة، مصر،ص11.

(2) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي،7 /453 .

أما عن الأشرف (الأول) ابن السلطان المظفر (ت: 696هـ)فقد كان رائداً في علوم الطب وفلاحة الأرض، ومن مؤلفاته "الجامع في الطب" وكتاب التفاحة في معرفة الفلاحة، وطرفة الأصحاب في معرفة الأصحاب[1].

ويذكر أن بني رسول كانوا يهتمون باختيار الوزراء من بين أرباب الأقلام، كما كان قائد الجيش يلقب "أمير القلم"، ولقد كان ملوك وسلاطين بني رسول يشجعون قاصديهم من العلماء والصناع حتى تمكنوا بمساعدة الأيوبيين من بناء الحضارة اليمنية التي بلغت أوج عظمتها في عصر بني رسول، ولقد شغف كثير من سلاطين بني رسول بالدراسة وتأليف الكتب التي تناولت مختلف المجالات[2].

ولقد عاش العالم والشاعر عبد ا بن أسعد اليافعي في فترة حكم المؤيد داود يوسف، والمجاهد علي بن داود، التي كانت فترة مليئة بالاضطرابات الداخلية مما جعل اليافعي صاحب الحس المرهف يفكر في السفر,الذي أفاد منه في إنشاء مؤلفاته هو وكثير من العلماء الذين أثروا المكتبة العربية الإسلامية بالكثير من المؤلفات التي كان لها أكبر الأثر في نشر الثقافة العامة في العالم العربي[3].

3.1 اسمه ونسبه وأخباره:

هو عبد ا بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي، الإمام عفيف الدين أبو السعادات اليمني الشافعي نزيل الحرمين، ولد سنة (698هـ) وتوفي في جمادى الآخرة من سنة (768هـ)، مؤرخ، باحث متصوف، شارك في الفقه والعربية من الأصوليين في اللغة والفرائض والحساب، وهو شاعر صوفي، واليافعي نسبة إلى يافع، وهي قبيلة في اليمن من حمير، وله العديد من الكنى حيث يكنى بأبي محمد، وأبي السعادات وأبي عبد الرحمن.ولد باليمن، ونشأ على خير وصلاح وكان منذ صغره تاركاً ما يشتغل به الأطفال من اللعب، بلغ الحلم سنة (711هـ)، وحج سنة

---

(1) الخزرجي، العقود اللؤلؤية: 1/574-571.

(2) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي: 7/451.

(3) للمزيد انظر:زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،ج3،سليم،عصر سلاطين المماليك،ج1/ج3

(712هـ)، فلما رأى والده آثار الفلاح عليه ظاهرة بعث به إلى عدن فاشتغل بالعلم وحفظ" الحاوي الصغير" و"الجمل" للزجاجي, ثم جاور بمكة وتزوج فيها[1]: "ومن المجاورين بمكة الإمام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد عفيف الدين عبد ا بن أسعد اليمني الشافعي الشهير باليافعي، كثير الطواف آناء الليل وأطراف النهار، وكان إذا ما طاف يصعد إلى سطح المدرسة المظفرية فيقعد مشاهداً للكعبة الشريفة إلى أن يغلبه النوم، فيجعل تحت رأسه حجراً وينام يسيراً، ثم يجدد الوضوء ويعود لحالة من الطواف حتى يصلي الصبح وكان متزوجاً ببنت الفقيه العابد شهاب الدين بن البرهان، وكانت صغيرة السن، فلا تزال تشكو إلى أبيها حالها فيأمرها بالصبر، فأقامت معه علي ذلك سنين، ثم فارقته"[2].

ولقد ذكره الأسنوي في طبقاته, وقال:" كان إماماً يسترشد بعلومه ويقتدى وعلماً يستضاء بأنواره ويهتدى, صنف تصانيفاً كثيرة في أنواع العلوم, إلا أن غالبها

---

(1) السلامي، تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع (ت: 774هـ)، (1982)، الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس، عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1: 313/2؛ المكي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت: 832هـ)، (د.ت)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة: 104/5؛ الدمشقي، تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي، (ت: 851هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبة، حققه عدنان درويش، ص299؛ العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت: 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة: 352/2؛ الشوكاني، محمد بن علي (ت: 1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعارف: 378/1؛ الزركلي، خير الدين، (1984)، الأعلام، ط6، دار العلم للملايين، بيروت: 72/4؛ البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دارالفكر: 465/5؛ أبي مخرمة، أبي محمد عبد ا الطيب بن عبد ا ، (1926)، تاريخ ثغر عدن، مطبعة بريل في مدينة لندن: 109/1.

(2) ابن بطوطة، محمد بن عبد ا (ت: 779هـ)، (د.ت)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار، شرحه طلال حرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص171.

صغير الحجم معقود لمسائل مفردة وكثير من تصانيفه نظم فإنه كان يقـول الـشعر الحسن الكثير بغير كلفة، وكان يصرف أوقاته في وجوه البر وأغلبها في العلم كثير الإيثار والصدقة مع الاحتياج متواضعاً مع الفقر مترفعاً عن أبناء الدنيا معرضاً عما في أيديهم، وكان نحيفاً ربعة من الرجال مربياً للطلبة والمريدين ولهـم بـه جمـال وعِزة، فنعق بهم غراب التفريق وشتت شمل سالكي الطريق سكرت طباعه وبـدت أوجاعه فشكا من رأسه ألماً وجسمه سقماً وأقام أياماً قلائـل وتـوفي وهـو إذ ذاك فضيل مكة، وفاضلها وعالم الأبطح وعاملها يرتفع ببركـة دعائـه عنهـا الويـل، وينصب الوبل وتفتح أبواب السماء، فيحص منها العالي ويسيل السافل"[1].

رحلاتُه وأسفاره:

صبت لليافعي الخلوة والانقطاع والسياحة في الجبال، وتردد هل ينقطع للعلم أو للعبادة، وهداه ا إلى ملازمة العلم، حج سنة (712هـ)، ثم عاد إلى بلاده, ثـم رجع إلى مكة سنة (718هـ)، وجاور بها، رحل إلى الشام سنة (734هـ ـ) وزار القدس, وذهب إلى القاهرة ثم عاد إلى مكة شرفها ا ، ملازماً للعلم والعمل، ثم سافر إلى اليمن سنة (738هـ) لزيارة شيخه على المعروف بالطواش، وزار أيضاً غيره من العلماء والصلحاء ومع كثر أسفاره لم تفته حجة في هذه السنين[2].

أخذ اليافعي علمه من عدة شيوخ، منهم: أبو عبد ا محمد بن أحمد الـذهيني المعروف بالبصال[3]، وعن الشيخ علي الطواش[4]، وكان شيخاً كبيراً وليـاً، جليـل القدر مشهور الذكر توفي عام (748هـ)، ورضي الدين الطبري[5]، وهو إبراهيم بن

---

(1) الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت: 772هـ)، طبقات الـشافعية، تحقيـق: كمـال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية: 330/2؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت: 1089هـ)، (د.ت)، شذرات الذهب في أخبار مـن ذهـب، دار إحيـاء التراث العربي: 211/6.

(2) العسقلاني، الدرر الكامنة: 352/2.

(3) المرجع نفسه: 355/2.

(4) المرجع نفسه،355/2.

(5) الأسنوي، طبقات الشافعية: 331/2.

محمد بن إبراهيم بن محمد الشيخ الإمام العالم الحافظ، رضي الـدين أبـو إسـحاق الشافعي المكي، ولد (636هـ)، تفرد في آخر عمره بروايـة صـحيح البخـاري، وتوفي سنة (722 هـ)، ومن شيوخه الفقيه نجم الدين الطبري[1] وهو محمـد بـن جمال الدين، كان من علماء الحرم المكـي،ومن فقهـاء الـشافعية، تـوفي سـنة (730هـ).

وفاته:

قال صاحب العقد الثمين: [2]توفي ليلة الأحد المسفر صباحها عن العشرين من جمادى الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة بمكة، ودفن بالمعلاة جوار الفضيل ابـن عياض[3]، وبيعت حوائجه بأغلى الأثمان، بيع له مئزر عتيق بثلاثمائة درهم، وطاقية بمائة وقس على ذلك [4].

4.1 مؤلفاته:

أوقف عبد ا بن أسعد اليافعي حياته على التأليف والتدريس كأمثالـه مـن علماء عصره، ولقد برع في العديد من العلوم إلى جانب الشعر الذي تركه موضوع الدراسة، ومن العلوم التي برع بها الفقه والحديث والتـاريخ والجغرافيـا والفلـك والأدب،وترك الشيخ المتصوف الزاهد تراثاً ضخماً لم يصل لنا إلى القليـل منـه، وسوف أتحدث عن مؤلفاته بشيء من التفصيل.

---

(1) الأسنوي، طبقات الشافعية،331/2.

(2) المكي, تقي الدين, العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، 323/4

(3) من أعلام العارفين با ، وكان شيخ الحرم المكي علماً وسلوكاً مات سنة (187هـ)، وله ترجمات عديدة، طبقات الصوفية للسلمي: 41/6، سيرة أعـلام النـبلاء: 382/8، مرآة الجنان: 251/1.

(4) وردت وفاته في: البغدادي، هدية العارفين: 465/1، الشوكاني، البدر الطالع: 378/1، العسقلاني، الدرر الكامنة: 352/2.

أولاً: المطبوعة:

من كتب اليافعي التي توافرت بين يدي الكتب الآتية:

1. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان:**

توفرت بين يدي الطبعة الأولى (1337هـ)، التي طبعت بحيدر آباد، الهند، وهي مكونة من أربعة مجلدات.

وكذلك طبعة عام (1417هـ/1997م) التي وضع حواشيه خليل المنصور، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

قال المؤلف عبد ا اليافعي عن الكتاب "فهذا كتاب لخصته واختصرته مما ذكره أهل التواريخ والسير وألو الحفظ والإتقان في التعريف بوفيات بعض المشهورين المذكورين الأعيان، وغزوات النبي ﷺ، وشيء من شمائله ومعجزاته ومناقب أصحابه وأموره وأمور الخلفاء والملوك وحدوثها في أي الأزمان، على وجه التقريب لمعرفة المهم من ذلك دون الاستيعاب واستقصاء ذكر الأوصاف والأنساب لاستغنى به في معرفة ما تضمنه عن الحاجة إلى استعارة التواريخ للمطالعة في بعض الأحيان. معتمداً في الشمائل والمناقب على ما أفصح به كتاب الشمائل للترمذي وجامعه والصحيحان وفي التواريخ على ما قطع به الذهبي، مصححه ومودعه أشياء من الضرائب والنوادر والظرف والملح ملتقطاً ذلك من نفائس جواهر نوادر الفضلاء، ومعظمها من تاريخ الإمام ابن خلكان وشيئاً من تاريخ ابن سرة في قدماء علماء اليمن أولي الفقه والحكمة والبيان مختصراً في جميع ذلك على الاختصار بين التفريط المخل، والإفراط الممل، محافظاً على لفظ المذكورين في غالب الأوقات حاذقاً للتطوير، وما يكره المتدين ذكره من خلاعات"[1]، ولقد ذكر قصيدة يصف بها كتابه نظماً سوف أوردها في ديوانه الذي جمعته. وهذا الكتاب من جملة الكتب التي ترجمت لجمهرة كبيرة من رجال الفكر الإسلامي بدءاً من السنة الأولى للهجرة وانتهاء بحوادث سنة خمسين وسبعمائة، وهو يعد موسوعة في التاريخ والأدب والتراجم، لذا يعدّ مدونة لجمهرة عظيمة من

---

(1) اليافعي، عبد ا بن أسعد، مرآة الجنان،: 3/1.

أعلام الأمة الإسلامية ترجم فيه للقادة والعلماء والأدباء، والشعراء والصوفية علـى مدى سبعمائة وخمسين سنة، وهو يضم شيئاً من الفقه والحديث والتفسير والنـوادر وكتب مهمة ألفت في أزمنة مختلفة، وضم الكتاب عدداً وافراً من أشـعار اليـافعي، وهذا أسلوب من أساليبه في التأليف حيث أن أغلب كتبه تتضمن أشعاره.

وقـــد أورد ذكـــره إســـماعيل البغـــدادي[1]،والإســـنوي[2], وحـــاجي خليفة[3]،والزركلي[4].

2. الدر النظيم في خواص القرآن العظيم:

وقعت بين يدي الطبعة الثالثة من الكتاب (1307هـ/1958م)، بتحقيق الشيخ علي محمد الضباع، يقول اليافعي في مقدمة كتابه: "الحمد الذي أطلع من آفـاق كتابه العزيز نيرات أوضاح الغرر، وحفه بآثار الكرامات وكرامات الأثر لا تنكـر الأثر، وجعله بحراً يخرج منه فوائد الجواهر ونفائس الدرر، وأمدنا بنـور الإفهـام وبنور الإلهام، فتجلت منه بواهر الآيات وعجائب العبر، أحمده حمد من حمد وشكر، وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد, فـإن ا تعالى جعل كتابه للأدواء شفاء، ولصدأ القلوب جلاء، فهو النور الذي لا يشبهه نور، والبرهان الذي تشفى به النفوس، وتشرح به الصدور، فرأيت أن أجمـع فـي هـذا الكتاب بين كتاب البرق اللامع والغيث الهامع، تأليف الإمام الفقيه القاضي أبي بكـر الغساني وبغية المرام للغزالي، وسميته بالدر النظيم فـي فـضل القـرآن والـذكر الحكيم"[5]. وهو كتاب يحتوي على أسرار قرآنية وقد طُبِع في كتاب صـغير عـدد صفحاته (139) صفحة، ويتكلم عن فضل كل سورة مـن سـور القـرآن الكـريم

---

(1) البغدادي، هدية العارفين: 465/1.

(2) الإسنوي، طبقات الشافعية: 190/1.

(3) خليفة ,حاجي، كشف الظنون: 72/1.

(4) الزركلي، الأعلام: 72/4.

(5) اليافعي، الدر النظير في خواص القرآن الكريم ص2.

وخواصها، ولقد ضمنه عدداً كبيراً من الأحاديث النبوية الشريفة، ذكر في هدية العارفين[1]، والأعلام[2]. وهذا الكتاب خالٍ من الأبيات الشعرية لليافعي.

3.روض الرياحين في حكايات الصالحين:

الملقب" نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر"، تحت يدي نسخة لمطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية (1374هـ/1955م)، عدد صفحاته (532) صفحة، والكتاب في هامشه كتاب" عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق"، تأليف العلامة الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي.

يقول عنه اليافعي: "فإني لما كنت محباً للأولياء والصالحين، وعاشقاً للصوفية العارفين" من أهل الذوق والشوق والتجريد والانفراد، ومولعاً بكلامهم وحكاياتهم في كتب الحقائق والدقائق النفيسات الجياد... انتخبته وانتقيته وجمعته وألفته من كتب عديدة، لأئمة كبار ذوي مناقب حميدة، منهم الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، والإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري، والشيخ شهاب الدين السهروردي، وآخرون يطول عددهم، أودعته خمسمائة حكاية، وخمسة فصول، منها فصلان مقدمة، وفصلان خاتمة، وفصل خاتمة الخاتمة.

الفصل الأول من المقدمة: في شيء من فضائل الأولياء والصالحين، والفقراء

الفصل الثاني من المقدمة: في إثبات كرامات الأولياء السادات الأصفياء.

الفصل الأول من الخاتمة: في الجواب عن إنكار وقع من بعض الفقهاء المصنفين في بعض حكاياتهم.

والفصل الثاني من الخاتمة: في بيان مذهبهم في عقائدهم.

وفصل خاتمة الخاتمة: في توحيد الرحمن، وطرف من طرف الجنان مختوماً بمدح خاتم الأنبياء وتاج الأصفياء ﷺ[3].

---

(1) البغدادي، هدية العارفين: 465/1.

(2) الزركلي، الأعلام: 72/4.

(3) اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص5.

والكتاب يضم عدداً كبيراً من الأشعار التي نظمها اليافعي في مدح التصوف، ومشايخ الصوفية والثناء عليهم، والطقوس الصوفية والحب الصوفي، وقد ذكر هذا المؤلف لليافعي كل من البغدادي[1]،وابن تغري بردي[2],وحاجي خليفة[3] والزركلي[4].

4. مراهم العلل المعضلة (المرهم في علم الأصول):

سماه مراهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة بالبراهين الناطقة المفصلة، الطبعة الأولى (1412هـ/1992م)، تحقيق: محمود محمد حسن نصار، وقد ذكره إسماعيل البغدادي، والعماد الجندي[5]،والزركلي, مما يثبت أنه لعبد الله بن أسعد اليافعي.

5. نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية وأصحاب المقامات العالية:

والنسخ التي بين يدي هي لمكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى (1424هـ/2004م)، تحقيق: عبد الناصر سعدي أحمد عبد الله، والكتاب جزآن، مكون من (764) صفحة. ونسخة (1990)، ط2، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، تحقيق، إبراهيم عطوة عوض، عدد صفحاته (438) صفحة.

والنسخة التي وضع حواشيها خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، عدد صفحاته (408) صفحة.

نجد أن اليافعي في هذا الكتاب يذكر فضيلة من الفضائل، ثم يبدأ في ذكر ما ورد في حمدها من الآيات القرآنية، ويعقب بسرد ما جاء فيها من الأحاديث النبوية الشريفة، ثم الأخبار والآثار والقصص والحكايات.

---

(1) البغدادي، هدية العارفين: 465/1.

(2) الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت: 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب,المؤسسة المصرية: 93/11-94.

(3) خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت: 1067هـ)، (1982)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر: 165/1.

(4) الزركلي، الأعلام: 72/4.

(5) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 210/5.

وهو يشتمل على العديد من أشعار اليافعي ، ذكر الكتاب عند تقي الدين الدمشقي[1]، والبغدادي[2]، والزركلي[3]، وهذا ما يثبت أنه لعفيف الدين عبد ا بن أسعد اليافعي.

6. خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر:

النسخة التي بين يدي تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيري، الناشر دار الآثار الإسلامية، بدبلي، سريلانكا، الطبعة الأولى، (1427هـ/2006م)، عدد صفحاته (290) صفحة، جمع فيه اليافعي إحدى ومائتي حكاية وكرامة، كجزء من مفاخر عبد القادر الجيلاني، وآثاره الباقية على حد قوله، ولقد ضمن الكتاب العديد من الأشعار, وله قصيدة واحدة يمدح فيها عبد القادر الجيلاني، وفيه آيات قرآنية وأحاديث، الكتاب ورد ذكره في الأعلام، وكشف الظنون، وهدية العارفين، مما يثبت أنه لليافعي.

7. الإرشاد والتطريز في فضل ذكر ا وتلاوة كتابه العزيز:

النسخة التي بين يدي تحقيق محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (2003م) مكون من (336) صفحة.

يبنى كتابه على مقدمة وعشرة أبواب، وقام على أخبار في الذكر والعبادات والوعظ والقصص، وأخبار الصالحين، وبيان فضل الأولياء والمساكين والزاهدين والناسكين، وعلى عقيدة الأشعري من أهل السنة بأسلوب مطرز بالسجع المطبوع، والشعر الوجداني الذي كلله بالحكمة الواعظة، والعبرة الأخاذة، ولقد جمعت منه شعر اليافعي.

المؤلفات المفقودة:

1. الأنوار اللائحة في تفسير الفاتحة: ذكره البغدادي[4]، وصاحب إيضاح المكنون[1].

---

(1) الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبة: 299/2.

(2) البغدادي، هدية العارفين: 465/1.

(3) الزركلي، الأعلام: 72/4.

(4) البغدادي، هدية العارفين: 465/1-466.

2. بهجة البدور في وصف الحور: ذكره البغدادي.
3. تاج الرؤوس في الذيل المأنوس على سوق العروس: ذكره البغدادي.
4. ترياق العشاق في مدح حبيب الخلق والخلاق: ذكره البغدادي.
5. الدرر في مدح سيد البشر، والغرر في الوعظ والعبر: ذكره البغدادي.
6. روض البصائر ورياض الأبصار في معالم الأقطار والأنهار الكبار: ذكره البغدادي.
7. شمس الإيمان وتوحيد الرحمن في عقيدة أهل الحق والإتقان: ذكره البغدادي.
8. عالي الرفعة في حديث السبعة: ذكره البغدادي.
9. الشهد الشافي في مدح المصطفى ﷺ: ذكره البغدادي.
10. الشهد الجابي في فضل الصالحين ومقامهم العالي: ذكره البغدادي.
11. نوادر المعاني: ذكره البغدادي[2]، وحاجي خليفة[3].
12. نفحات الأزهار ولمعات الأنوار: ذكره البغدادي وحاجي خليفة.
13. أطراف التواريخ: ذكره البغدادي و حاجي خليفة[4].
14. نشر الروض العطر في حياة سيدنا أبي العباس الخضر: ذكره العماد الجندلي[5].
15. مهجة الأشجان في ذكر الأحباب والأوطان: ذكره البغدادي [6].
16. حلية الأخبار في أخبار أهل الأسرار: ذكره البغدادي[7].

---

(1) البغدادي، إسماعيل باشا، (1982)، إيضاح المكنون في الذيل علـى كـشف الظنـون، تحقيق محمد شرف الدين ورفعت الكليسي، دار الفكر: 145/1.

(2) البغدادي، هدية العرافين: 465/1-466.

(3) خليفة، حاجي، كشف الظنون: 72/1.

(4) المرجع نفسه 1/ 72.

(5) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 240/5.

(6) البغدادي، إيضاح المكنون: 465/2-466.

(7) المرجع نفسه 466/2.

الفصل الثاني

موضوعات شعر عبد الله بن أسعد اليافعي

2. 1. المدح النبوي

"المديح النبوي هو فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف وهو لون من التعبير عن العواطف الدينية, وباب من الأدب الرفيع لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[1], اهتمام الصوفية بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم كان له أثر بليغ في الأدب العربي, إذ أن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثرت في مسار الأدب الصوفي واحتلت مساحة كبيرة تدخل في الصميم من تفكير المتصوفين.

وقد ظهرت البذور الأولى للتصور الصوفي لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في أشعار كعب بن زهير[2], وحسان بن ثابت[3], ففي قصيدة كعب بن زهير التي يقول في مطلعها (بانت سعاد)يصف الرسول بأنه نور,يقول[4]:

إن الرسولَ لنور يستضاء بهِ وصارم من سيوفِ الله مسلول

وتوارث المسلمون احترام قصيدة كعب حتى قال أبو جعفر الألبيري"حدثني بعض أشياخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب,قال أبو جعفر:"ولم يزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها, ويقتدون بأقوالها,تبركا بمن أنشدت بين يديه, ونسب مدحها إليه"[5] ونستطيع

---

(1) مبارك,زكي,المدائح النبوية في الأدب العربي, مطبعة البابي الحلبي,مصر, 1935م/ص17-18.

(2) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى,المزني(ت26هـ)مدح الرسول بقصيدته بانت سعاد فقام رسول الله وكساه بردة,ومن هنا سميت قصيدته بالبردة ,انظر السيوطي,لب اللباب في تحرير الأنساب,تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ,دار الكتب العلمية, ص1.

(3) ابن ثابت، حسان بن المنذر الخزرجي الأنصاري (000-54هـ),أبو الوليد الصحابي ,شاعر الرسول وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام,الزركلي، الأعلام ج176/2.

(4) ابن زهير,ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى/شرح-أبو سعيد الحسن بن عبيد الله – تحقيق سامي مكي العاني/الناشر الدار القومية للطباعة والنشر,ط1 ,1950م,ص23.

(5) مبارك, المدائح النبوية,ص28.

أن نلمس أثر هذه القصيدة في وجدان المتصوفين وفي أشعارهم حين نجد أن البوصيري[1] أطلق على قصيدته التي أنشأها في مدح الرسول صلى ا عليه وسلم البردة تأسياً بقصيدة كعب بن زهير لأن الرسول خلع عليه بردته بعد أنشادها أمامه فقد كانت البذرة الأولى في هذا الحقل الروحي الخصب تتمثل في قصيدة كعب بن زهير.

وفي أشعار حسان بن ثابت يرد لفظ الطريقة ولفظ الوسيلة وقد شاعا فيما بعد عند المتصوفين ولفظ" إمام" و"طيبة",و"الهادي" و"النور"من الألفاظ التي ترددت كثيراً في أدب المتصوفين وقد أوردها حسان بن ثابت في أشعاره,يقول حسان[2]:

(بطيبـةٍ) رسـمٍ للرسـول ومعـهدٍ	منير وقد تعـفُو الرسـُوم وتهـمد
ولا تَنمحِي الآيـات مِـن دار حرمـةٍ	بِها(مِنْبر الهادي) الذي كان يـصعد
وواضِح آيــات وباقِي مــعالم	وربع لـه فـيه (مصلى) ومـسجد
به حــجرات كان يـَـنزل وسطها	من ا ِ (نُـور) يستَضــاء ويوقـد

ثم يقول[3]:

إمام لهم يهدِيهم الحق جـَـاهِدا	معلم صِدقٍ أن يعظـموه يسـعدوا
فبيناهم في نِعمةِ الـلهِ بينــهم	دليل به نَهـَج (الطَريقةِ) يقْـصـد
فبيناهم في ذلـك (النـور) إذ عـدا	إلى (نُورهم) سهم من الموتِ مقصد

كان لهذه المشاعر الصافية وذلك الحب النبوي أثر بالغ في التصور المحمدي عند الصوفيين "وقد تطور هذا الحب عند المتصوفين إلى الاعتقاد بالحقيقة المحمدية حيث تصوروا أن الرسول محمد صلى ا عليه وسلم له طبيعتان, طبيعـة بـشرية وهي هيئته التي يظهر بها للناس, وطبيعة روحية وهي أفاضت على الوجود بنورها

---

[1] البوصيري, محمد بن سعيد بن حماد الصنهجاني, أشهر شعراء المـديح النبـوي,كـان متصوفاً وشاعراً منطلق اللسان,تولى الحسبة ,(ت 696هـ),انظر ديـوان البوصـيري, تحقيق محمد سيد كيلاني,مكتبة البابي الحلبي, ط2, 1973م ,ص5.

[2] ابـن ثابـت,ديـوان حـسان بـن ثابـت,تحقيـق عبـد الـرحمن البرقـوقي, دار الأندلس'بيروت,1978م, ص56.

[3] المرجع نفسه, ص58.

وصدر كل شيء عنها ,وهو تصور فلسفي له صلة بفلسفة المسلمين في حقيقة النفس التي تأثروا فيها بالفلسفة اليونانية ,فالنفس عند أفلاطون قد وجدت قبل وجود الجسد وهي شقيقة المثل هبطت على كره إلى العالم المحسوس واتصلت بالجسد فهـي إذن صورة من صور الملأ الأعلى"[1].

وهناك فكرة عند المتصوفة لها أساس للفلسفة الصوفية فـي رؤيـة العـالم وتفسيره,إنه (الإنسان الكامل) يقول منصور محمد"هو مفهوم غامض غموضاً كبيراً نستعين على فهمه بكتب المعاصرين ولا سيما المتخصصين في التصوف,أما الـذي في كتب الصوفية فهو أحاجي وألغاز وطلسمات,ربما كانت مقصودة قصداً,إذ هـي في مركز الدائرة من مذهب وحدة الوجود والقائلين بتأليه الإنسان وإنسية الإلـه أو إحلال الناسوت في اللاهوت واللاهوت في الناسوت"[2], وهي شـطحات صـوفية أنكرها اليافعي موضوع الدراسة لان اليافعي كان متوسطاً في تصوفه لم يصل إلـى حد الشطح والخروج الديني حيث يقول زكي مبارك:"اليافعي نفسه لا يـدرك مـن التصوف غير الغاية النفعية,فالصوفي عنده رجل يخاف النار ويرجو ما وعِـد بـه المتقون من نعيم الجنان, وما نريد بهذا أن نخرجه من حظيرة التصوف, وإنما ننص على أن تصوفه ليس من النوع الخطر الذي يحل صاحبه من قيود الشرع ويـسلكه في زمرة المتفلسفين"[3].

فإذا سئلنا ما هو الإنسان الكامل أو من هو الإنسان الكامل؟ فليس في كتـب الصوفية إجابة محددة,أما محاولات الباحثين المعاصرين لتفسير هذا المفهوم ,فهـي واضحة محددة, يمكن فهمها واستيعابها فيرى (نيكولسون) أن صلة الصوفي بـالنبي محمد صلى ا عليه وسلم تقوم على المحبة وهذه المحبة جعلتهم يضعونه في منزلة

---

(1) عبد الدايم,صابر، الأدب الصوفي اتجاهاته وخصائـصه, دار المعـارف, ط2, 1984م, ص54.

(2) إبراهيم ,منصور محمد، الشعر والتصوف, دار الأمـين للنـشر والتوزيـع, 1999م , ط1,ص63.

(3) مبارك ,زكي، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق,مكتبة الثقافـة الدينيـة,2004م, ص246.

عظيمة "لأن النبي هو المجلي الأعظم لتلك الصلة الخاصة التي يطلق عليها الصوفية اسم الولاية,من حيث أنه يمثل في نظرهم الإنسان الكامل,الذي تجلت فيه الـصفات الإلهية فهو ولي من حيث باطنه, رسول من حيث ظاهره, ومقامه من حيث الولايـة أعظم وأعلى في نظر الصوفية من مقامه من حيث النبوة والرسـالة"[1] لقـد أكثـر المتصوفون من المدح النبوي لأنه الإنسان الكامل والشافع يـوم القيامـة والمنجـي بشفاعته من النار, فها هو اليافعي يمدح الرسول بأنه سر الوجود حيث يقول[2]:

هذا النبي الذي سرّ الوجـود بـهِ   هذا الذي مِن جمِيع الخلق مخْتـار

هذا الذي قَد سرى فَوقَ البراق[3] له   وصلٌ وقد أسبلت بالـيل أستـار

واليافعي موضوع الدراسة أكثر من مدح الرسول صلى ا عليه وسلم ولكن مدائحه ومحبته متوسطه لم تصل لحد الشطح والخروج عن المحبة المشروعة وإن كانت لا تخلو من الاعتقادات الصوفية من ذلك قوله[4]:

صـلاةٌ وتـسليم يفُـوح شَـذَاهما   على سيدِ الكونين مِـن آل هاشـم

نبي علا فَـوقَ النبيـين منْـصباً   بدا نُوره مـن قَبـل نَـشـوة آدم

فنجد أنه متأثر بالحلاج[5] حيث أنه "أول من تحدث عن النبي محمد صلى ا عليه وسلم بعبارات رمزية ملغزة,فقد جعل للنبي صورتين إحداهما قديمة وهي النور

---

(1) نيكولسون(رينولد)في التصوف الإسلامي وتاريخه ترجمة أبو العلا عفيفي,مكتبة الأنجلو المصرية,القاهرة,1956م, ص161.

(2) اليافعي, عبد ا بن أسعد,الإرشاد والتطريـز فـي فـضل ذكـر ا وتـلاوة كتابـه العزيز,وفضل الأولياء والناسكين, تحقيق محمد أديب الجاد, دار الكتب العلمية,بيـروت ,لبنان,ط1, 2003م,ص221.

(3) البراق دابة نحو البغل تركبه الرسل عند العروج إلى السماء. الفيومي، أحمد بن محمـد بن على، المصباح المنير, ,دار الحديث القاهرة2003م,ص32.

(4) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان, ج34/1.

(5) الحلاج ,الحسن بن منصور,فيلسوف زاهد,عد من الملحدين,فارسي الأصل ,دخل بغـداد وتجول في البلاد يدعو إلى طريقته سرا,يظهر التشيع للملوك والتصوف للعامة,له عـدة كتب منها(الطواسين)و(قرآن القرآن والفرقـان),قـال بمـذهب الحلـول,قتـل فـي =

الأزلي, الذي كان قبل الأكوان ومنه استمد كل عالم وعرفان, والأخرى حادثة وهي (محمد) باعتباره نبياً مرسلاً وجد في زمان ومكان معينين"[1] وهذا ما نجده عند اليافعي في الشطر الثاني من البيت الثاني (بدا نوره من قبل نشوة آدم).فجعل السبق في الوجود للنبي محمد صلى ا عليه وسلم.

ولقد أكثر الشاعر طلب شفاعة الرسول ومدحه بشفاعته من ذلك قوله[2]:

شَفيع البرايا صاحِب الحوضِ واللوا[3] غياثُ الورى عند الدواهي الـدواهِمِ

فالشاعر يمدح الرسول بأنه الشفيع يوم القيامة(الداهي الدواهم) وأنه صاحب الحوض واللواء وفي هذا حديث عن الرسول صلى ا عليه وسلم "أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ,وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا ,لواء الحمد بيدي, فأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر"[4].

وهاهو يطلب من الرسول أن يكون شفيعاً له حيث يقول[5]:

يا كعبة المجدِ بحر الجودِ شَمس هدى يا مذْهباً مِن كِلا الدارين كُـل ردى

يا مالي الكون معروفاً وفَيض نـَـدا كُن شافعاً للعبيـد اليـافعي غَــدا

مع الأحباء يا غوثا لِذي أمل

يذكر قصة شفاعة الرسول يوم القيامة بعد أن يتأخر عنها الأنبياء ويستخدم الأسلوب القصصي, يقول[6]:

وراموا شَـفِيعاً يـستغاثُ بِجاهِـهِ له شَـرفُ العليـا وجِيـهُ مكـرم

وقالوا لأهل العزمِ في الرسل من لَها فليس سِواكم يا أُولى العـزم يعـزم

بغداد(309هـ) قطعت أطرافه الأربعة ثم جز رأسه وأحرقت جثته, الزركلي، الأعـلام 260/2.

(1) التفتازاني,أبو الوفا الغنيمي مدخل إلى التصوف الإسلامي, ص131

(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج34/1.

(3) لواء الجيش علمه وهو دون الرية والجمع ألوية, الفيومي، المصباح المنير ,ص333.

(4) أخرجه الترمذي في السنن,برقم(3610),وابن كثير في تفسيره(8/4).

(5) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص271.

(6) المرجع نفسه، ص123.

مِنهــا خليــلٌ والكلــيم تَــأخروا وعِيسى وقبْـلَ القـومِ نُـوح وآدم

فَحِين الكرامِ الرسل عنْهـا تَـأخروا أتَيــتَ إليهــا بِالنَــدى تَتَقـدم

فحوى الأبيات مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شفاعته منه(......فيفزع الناس ثلاث فزعات,فيأتون آدم فيقولون :أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك ,فيقول:أنا أذنبت ذنبا فأ هبطت به إلى الأرض,ائتوا نوحاً,فيقول إنــي دعـوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا (.....)ولكن ائتوا محمداً صـلى الله عليـه وسـلم فيأتوني فأنطلق معهم) [1].

كانت مدائح اليافعي للرسول صلى الله عليه وسلم نابعة من الإيمان به الذي هو مستلزم للإيمان بالله عز وجل قال تعالى(فَآمِنُواْ باللهِ وَرَسُولِهِ وَالنّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [2] ومن حب عميق لأن محبته صلى الله عليه وسلم واجبة بالكتاب والسنة,قال تعالى(قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [3].

ولقد أكثر الشاعر من مدح صفاته وفضائله وشجاعته من ذلك قوله[4]:

وجيه صبيح الوجهِ مصباح ظلمـةٍ محا بِضِياء العدل ظلـم المظـالِمِ

حلـيم كـريم مـشفقٌ متعطـفٌ رؤوفٌ بكـل المـؤمنين وراحـمِ

مبيد الأعادي ذو انتقـام وسـطوة غليظٌ على الكُفـار للكُفـر هـادمِ

ويصور الشاعر شجاعة الرسول وتواضعه وصرامته على الأعداء[5]:

لما علتْ في سمِا العليـا جلالتـه تَواضعتْ عِنْدما هالـت شَـجاعته

للخـل لـينٍ وللأعـدا صـلابتَه نافي للطغى أوعِدت كِسرى مهابتَه

---

[1] صحيح الإسناد :أخرجه الترمذي,محمد بن عيسى بن سورة(ت279هـ) سنن الترمـذي دار مكتبة الدعوة برقم (3602).

[2] التغابن, آية(8).

[3] التوبة,آية(24).

[4] اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج34/1.

[5] اليافعي,نشر المحاسن الغالية,271.

فَوق الترابِ مع المِسكينِ مبتذل

لم يكتف اليافعي بمدح الرسول بالقيم الاجتماعية التقليدية التي كانت مدار فخر العرب ولا بالفضائل الدينية التي تميزه عن غيره من البشر,لقد أكثر اليافعي من ذكر سيرته المباركة ومعجزاته الخارقة, من ذلك قوله[1]:

ألا يا رسولَ ا يا أكرم الورى	ومِن جودِهِ خَير النوال ينيلُ
ومن كفه سيحون مِنها ودِجلةٌ	وجيحون مِنها والفُراتُ ونِيلُ[2]

ومن المعجزات التي أسهب اليافعي في ذكرها هي معجزة الإسراء والمعراج,لأنها تمثّل الاتصال المباشر بين الأرض والسماء يقول[3]:

ومخترقٌ سبعاً طِباقاً بليلةٍ	بها في محل القُدسِ أنس التَنادمِ
براقاً ومِعراجاً من الكون قد علا	إلى رتبةٍ لا تُرتقى بِسلالِمِ
من الفرشِ حتى العرشِ شَاهد في	سرى كسبعةِ الآفِ سنينِ تـوائم
وكان له الروح الأمين مسائراً	إلى سِدرةٍ مِن فَوقها غَير صارِمِ

إن التوسل بالنبي الكريم والتشفع به والصلاة عليه ,من لوازم المدائح التي استخدمها اليافعي,وشاعرنا يريد من وراء مدح الرسول صلى ا عليه وسلم وذكره,الثواب على مدحه,والجائزة التي يطلبها من مدحه النبي ليست من مثل الجوائز التي يطلبها الشعراء حين يمدحون الملوك والسادة ,بل هو يريد من وراء ذلك أن يفرج ا كربه, ويديم نعمه عليه, ويغفر ذنوبه, لذلك نجده حريصاً على التوسل بالنبي, يقول[4]:

إلهي بجاهِ المصطفى سيدِ الورى	إمامِ الهدى الهادي مِن الحيرةِ البدرِ
أقل عثراتٍ واهدنا واكْشفْ العما	وعاف وسلمنا من الخزي والخُسرِ

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص225.

(2) سيحون وهو نهر الهند,وجيحون نهر بلخ والنيل وهو نهر مصر,والفرات ودجلة وهما نهرا العرق. ياقوت الحموي, معجم البلدان,ص334

(3) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج34/1.

(4) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص125.

ويقول[1]:

إلهي بجاه المصطفى لا حرمتنا ... مواهب تُعطى من تشاء وتَمنع

وصحح لنا الفَقْر الذي ضمنه غنًى ... قلوبٍ عليها خلعة الفتح تُخْلَع

ويتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم , يقول[2]:

وها أنا في حماكم والنزيلُ وكم ... يحمى بكم من مخوفٍ منه مِذْعار

بالجاهِ مستشفع بالظلمِ معترفٌ ... للذنبِ مستغفر والرب غفار

وأنت بر رحيم القلب ذو ألمٍ ... بالشوكِ فينا فكيف النار والعار

جزاك عنا إله الخَلق خير جزا ... يعلو به مِنك تَشريفٌ ومِقدار

ومما تقدم يتضح لنا أن مدح اليافعي للنبي صلى الله عليه وسلم كان بإظهار معجزاته وكراماته وشجاعته,وبيان فضائله وصفاته الكريمة وإظهار مناقبه , والأحداث الحاصلة له, فهو يذكر حقائق دينية وأحداث تاريخية حصلت,فليس شعر المدح عنده زيفاً وكذباً وإرضاء لنزوات ممدوح واستجداء وعطاء,وإنما هو يفيد الحياة ويرسم صورة الفضيلة ويعلم الخلق كرائم الأخلاق وفضائل النفس, من خلال شخص النبي الحبيب,وشعره تقرير لحوادث ورد ثبوتها بالكتاب والسنة.

2. 1. مدح الصحابة:

أكثر اليافعي من مدح الخلفاء الراشدين وكان ذلك نابعاً من محبته لهم ولأنهم حملوا لواء الإسلام بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم,وكان مدحه لهم بإبراز أعمالهم ومناقبهم التي اشتهروا بها.

من ذلك مدحه لأبي بكر الصديق بقيامه مقام النبي في حروب المرتدين عن الدين الإسلامي, حيث يقول[3]:

مقام نبي قام يوم ارتدادِ ... عن الإسلامِ والسيفِ أشهرا

إلى أن أطاعوه والإسلام رده ... إلى طيه مِن بعدِ ما قد تنشرا

---

(1) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص162.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص222.

(3) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج57/1.

فوا لـو كـان النبـي مخـاللاً خَليلاً سوى الرب الذي خلْقَه بـرا

لكان أبـو بكـر خلـيلاً وسـابقاً بخلتـه كـلاً يمينـاً بـلا افتـرا

ويذكر صحبته للرسول صلى ا عليه وسلم في غار حراء [1]:

شَيخُ الوقارِ وثاني الغـارِ شَـاهِده في مجدِهِ القبةُ الحـسناء والغـار

مقدم الفضل والعليـا لـه شَـرفٌ في ذكرِ كتبٍ أعـداء لـه عـار

ولقد وردت أحداث صحبته للرسول في سورة التوبة يقول تعالى(ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا) [2].

ويمدح اليافعي ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب[3] ,حيث يقول[4]:

ومظهر الدين في إعـزازه عمـر مذالُ الكُفـر قَـد هابتـه كُفـار

سِراج جنات عـدنٍ منـه باهجـةٌ رياضها الغـر بـالأنوار زهـار

ويشير إلى فضائله بقوله[5]:

وقَاروقَهم ما في الطغا منه بالوغا لقيصر إرعـادٍ وكـسرى وتبّـع

ومن عجـبٍ أن الملـوك تهابـه ويخْشاه ناءٍ فـي قمـيصٍ مرقّـع

أبى عن لذيذِ العيشِ محدثَ منـزلٍ وعيشٍ,نداه مخصب كـل مرتـع

وكان محور الأبيات مصداقا لقول رسول ا صلى ا عليه وسـلم: (أشـد أمتي في أمر ا عمر) [6] ففي عهده كثُرت الفُتُوحات الإسلامية واتـسعت خارطـة العالم الإسلامي,ونلاحظ من خلال الأبيات أن اليافعي يمدح الشخص بما أشتهر بـه ,فأبياته الشعرية خاليه من الزيف والكذب الشعري والمبالغة في حق الممـدوح,فقـد

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج58/1.

(2) سورة التوبة ,آية (40).

(3) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد ا بن كعب بن لـؤي بـن غالب القرشي وكنيته أبو حفص ,انظر الطبري,أبو جعفـر محمـد بـن جريـر بـن زيد(310هـ)تاريخ الرسل ,دار المعارف,مصر ,ط4(د.ت),562/2.

(4) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج70/1.

(5) المرجع نفسه,ج69/1.

(6) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (210/6).

اشتهر عمر بن الخطاب رضي ا عنه بالجد, وكان شديداً والناس يرهبونه حتى في زمن رسول ا ,وهذا ما عناه اليافعي بقوله:" مذلل الكفر قد هابته كفـار",وقولـه : "لقيصر إرعاد وكسرى وتبع",لأنه في زمنه فتح المسلمون أغنى بقاع الدنيا,العـراق والشام.

ولقد اشتهر عمر بن الخطاب بشدة تقشفه وشدة عيشه ولقد ورد في الطبقات الكبرى عن ذلك أن ابنته حفصة لما رأت ما عليه من التقشف وشدة العيش كلمته في ذلك إشفاقاً عليه عسى أن يحسن طعامه ولباسه فقالت له :يا أبـت إنـه أوسـع ا الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير فلو طعمت طعاماً ألـين مـن طعامـك ولبست لباساً ألين من لباسك, فقال سأخاصمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسـول ا صلى ا عليه وسلم يلقى من شدة العيش ,فما زال يذكرها-لأنها كانت زوجـة رسول ا –حتى أبكاها[1], وهذا ما أشار إليه اليافعي بقوله: (أبى عن لذيـذ العـيش محدث منزل) وقول: (ويخشاه ناءٍ في قميص مرقع),ولقد كان عمر بن الخطاب قدوة المتصوفة في شدة العيش حيث أنهم اشتهروا بالزهد والبعد عن ملذات الدنيا ولـبس الخرق كما أشار إلى ذلك اليافعي.

ويمدح اليافعي ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفـان[2] رضـي ا عنـه ,ويذكر حادثة قتله وكيف أن الدم انتضح على المصحف بين يديه[3]:

الصائم القائم المحمود مـشـهده عثمان ذي النورين في قتلهِ جاروا

شرار قومٍ من الأرذال فـي دمِـهِ في مصحفٍ ظل للفجـار فجـارا

ويمدحه بكثرة صيامه وقيامه بالليل والناس نيام[4]:

---

(1) السبكي,تاج الدين عبد الوهاب (ت771هـ) طبقات الشافعية الكبـرى,دار المعـارف :278/3.

(2) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميه بن شمس بن عبد مناف, قتل في يوم الجمعـة ثاني عشر ذي الحجة والمصحف بين يديه,انظر اليافعي,مرآة الجنان وعبـرة اليقظـان ج770/1.

(3) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج79/1.

(4) المرجع نفسه,ج79/1.

وذي النور والبرهان والحلم والندى خـشوعٌ وللقـرآن بالـك يجمـع

قنوتُ الـدياجي والعيـون هواجـع بلــذةِ عــيشٍ بالتهجــدِ مولــع

ويمدح على بن أبي طالب[1] رضي ا عنه بالسيادة والزهد بالدنيا[2]:

ورابع السادةِ المولى أبـو حـسنٍ سيفُ القضاءِ وبحرِ العلمِ زخَـار

ومعدن الجـودِ والـدنيا مطْلقُهـا بتاً,ثلاثاً فتـى بالفـضل مِـشْهار

وفي مقام قول اليافعي الدنيا مطلقها لعلي بن أبي طالب أبيات في الدنيا مـن ذلك قوله[3]:

رأيــتُ الــدهر مختلفــاً يــدور فـلا حـزن يـدوم ولا سـرور

وقد بنـتِ الملـوك بِـهِ قـصوراً فلم تبـق الملـوك ولا القُـصور

وله كذلك عن سراب الدنيا[4]:

ومن يصحبِ الدنيا يكن مثلَ قابـ ـ ـضٍ على الماءِ خَانتْه فُروج الأصابِع

2. 1. مدح أصحاب العلم والرجال ومشايخ الصوفية:

احتل مدح أصحاب العلم والرجال ومشايخ الصوفية حيزاً كبيراً فـي شـعر اليافعي,وهذا راجع إلى شدة حب الشاعر لهم ولطريقتهم ,فها هو يمدح أبـا حامـد الغزالي[5] بعلمه وتدقيقه بالعلم حيث أنه اشتهر بكثرة مصنفاته ,فلـه نحـو مئتـي مصنف أشهرها إحياء علوم الدين, يقول فيه[6]:

---

(1) هو أبو الحسن على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ,ابـن عـم الرسول ,أمه فاطمه بنت أسد ولد في مكة المكرمة قبل الهجرة باثنين وعـشرين سـنة, أنظر علي ابن أبي طالب، ديوان أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين, جمع وشـرح سالم شمس الدين,المكتبة العصرية ,بيروت 2007م,ص9.

(2) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج90/1.

(3) علي,ديوان أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين, ص69.

(4) ابن ابي طالب,ديوان أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين, ص77.

(5) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي,أبو حامد ,حجة الإسلام فيلسوف, متصوف, له نحو مئتي مصنف, الطابران (450-505هـ),الزركلي، الأعلام,22/7.

(6) اليافعي, روض الرياحين في حكايات الصالحين,486.

أبو حامدٍ غزالُ غزلٍ مدققٍ ... من العلمِ لم يغزل كذاك بمغزل
به المصطفى باهى لعيسى بن مريمٍ ... له قال صدقاً خالياً عن تقوّل
أَحبر[1] كهذا في حواريك قال لا ... وناهيك في هذا الفخار المؤثل

لم يكتف الشاعر بمدح الغزالي إنما مدح تصانيفه,وفي من يطعن ويذم مؤلفاته يرد بتشبيه الغزالي بالحسناء التي وإن ذمتها جارتها لا ينقص من حسنها شيء فلا هي سلمت من ذم الحاسدات,ولا صاحب الحق من عداوة مبطل, يقول[2]:

تَصانيفه فَاقَت بنفعٍ وكثرةٍ ... وحلّة حسن كم بها لعزيز قلى
وكم حجّة الإسلام حاز فضيلةً ... وكم حلّةٍ حسناتها فَضله جلّى
بها جاهلٌ مع حاسدٍ طاعنٍ فذا ... تعامى وعنها ذاك أعمى قَد ابتُلي
وما ضر سلمى ذم عالي جمالها ... ومنظرها الباهي ومنَطقها الحلي
لئن ذمّها جاراتُها ونظائر ... وعين جمالاً في حلاها وفي الحلي
فَما سلمتْ حسناء عن ذمّ حاسد ... وصاحبٍ حق من عداوة مبطل

ويمدح الشيخ محي الدين أبا محمد عبد القادر الجيلاني[3] بقوله[4]:

إِمام الورى قطب الملا قائلٌ على ... رقابِ جميعِ الأولياءِ قَدمي علا
فَطأطأ له كُل مشْرقٍ ومغْربٍ ... رقَابا سوى فَرد فعوقِب بِالعزل
مليك له التصريف فِي الكون نَافِذٌ ... لشَرق وغَربِ الأرضِ والوعِر والسهل

وللبيت الأول والثاني قصة رددها كثيراً اليافعي في مؤلفاته يتفاخر أهل التصوف بها ,فحواها"قد روي في كتاب مناقبه من طرق كثيرة بروياتٍ شهيرةٍ عن جماعةٍ من المشايخ الأكابر والعلماء الأفاضل أنه قال في مجلسه وهو على الكرسي

---

(1) الحبر العالم والجمع أحبار,الفيومي، المصباح المنير,ص74.

(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج142/3.

(3) عبد القادر بن موسى بن عبد ا بن جنكي ,أبو محمد,محي الدين الجيلاني,أو الكيلاني أو الجيلي,مؤسس الطريقة القادرية.من كبار الزهاد والمتصوفين .ولد في جيلان 471هـ, (ت561هـ)أشهر مؤلفاته الفتح الرباني,انظر الزركلي، الأعلام,ج47/4.

(4) اليافعي,عبد ا بن أسعد(768هـ) ,خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر تحقيق أحمد فريد المزيدي, دار الآثار الإسلامية,سيرلانكا,ط1, 2006م, ص289.

يتكلم على الناس (قدمي هذه على رقبة كل ولي)وكان في مجلسه حينئـذ عامـة مشايخ العراق وروي أنهم كانوا نحوا من خمسين شـيخاً ,وروى نيفـاً وخمـسين شيخاً...إنه لم يبق أحد من الأولياء في ذلك الوقت من الحاضرين والغائبين في جميع آفاق الأرض إلا حنى له رقبته إلا رجلاً بأصبهان,فإنه لم يفعل,فسلب حاله"[1] وهـذه القصة وغيرها من القصص العجيبة التي لا يصدقها عقل عاقل كثيرة في قـصص المتصوفة ,ولقد أكثر اليافعي من ذكرها في مؤلفاته, فاليافعي لـه كتـاب خلاصـة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر يذكر فيها كراماته.

الكرامات "يذكرها الصوفية عبر حكايـات مـشوقة دون أن يهـتم الكاتـب المتصوف بسند الرواية والتأكد من سندها ومصدرها, بل تصاغ بطريقة توحي أنها حادثه واقعة مهما امتزجت بالغرابة والمبالغة وما يـشبه الأسـاطير والخرافـات مادامت تقع تحت العنوان العريض لقدرة القادر سبحانه.وغالباً ما تدور وتتموقع في هذه العناصر:

1. الموت العاجل نتيجة التأثر بعبارة أو بيت شعر.وهذه صعقة الصوفي.
2. إنطاق الجمادات والحوار معها.
3. الهواتف الغيبية والأصوات الخفية في مبادرة أو جواب,حتى أنها تنسب أحيانـا إلى ا تعالى وهي تعرف عن أعلام التصوف بالكرامات"[2].

ولقد مدح اليافعي كثيرا بهذه الكرامات في شعره,فهذه الخوارق لهـا مـصداقية قوية عندهم,فكل متصوف هدفه السامي أن يـصل إلـى هـذه الكرامـات, فنجـد الكلاباذي(ت380هـ) يؤكد الاتفاق على الكرامات عند أهل التصوف"أجمعوا علـى إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمـشي علـى المـاء وكلام البهائم وطي الأرض وظهور الشيء في غير موضعه ووقته"[3].

---

(1) اليافعي, خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر,ص35.

(2) الراضي, يحيى,الحب في التصوف الإسلامي,ابن عربي أنموذجاً, دار التكوين,للتـأليف والنشر,ط1, 2009م, ص72.

(3) الكلاباذي,أبو بكر محمد,التعرف لمذهب أهل التصوف,ط1, دار الإيمان, دمشق,1986م, ص71.

ولقد بالغ شاعرنا في مدح عبد القادر الجيلاني حتى أنه جعله متصرفاً في الأملاك,والجن والإنس يهابونه يقول[1]:

له في الوجودِ الجاه والحكم نافذٌ خَفير الورى في عصرهِ غير خَافر

له الجن والأملاك والإنس كُلهم يخافون لا شخص يرى غير حاذرِ

وكثيراً ما يمدح اليافعي أهل التصوف بالكرامات من ذلك قوله[2]:

بِتركِ الهوى أمسوا يطيرون في الهوا ويمشون فوقَ الماءِ مِن جِنابه

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملكِ إلا اسمه وعقابه

ومن المدح بالكرامات قوله[3]:

شُموسهم حادةُ الأبصار تُبصرها وليس في الشمسِ للخفاشِ إبصار

وليس تقضى برؤيا حسن طلعتِها لغير أهلٍ لرؤيا الحسن أوطار

إمّا تَواروا بحالٍ أو خطَوا فطُوي أرض لهم أو مشوا في الماء أو طاروا

ويمدح ابن علوان[4] بهذه الكرامات حيث يقول[5]:

وكم لابن علوانٍ على الدهر من علا فتى يردا مجدِ المعارفِ مرتَدي

ولى على الأيام يعلو بمنصبٍ إلى فوق علياء المفاخر مصعد

فما زال في جيشٍ مِن النصر مسعدِ له تَحتَ راياتِ العنايةِ منجدِ

يقول اليافعي فيه"ومن كراماته أن ذرية الفقهاء كانوا ينكرون عليه صاروا يلوذون عند النوائب بقبره, ويستجيرون من خوف السلطان به"[6].

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج272/3.

(2) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص48.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز ,ص56.

(4) أحمد بن علوان,أبو العباس,صوفي يماني متأدب, (ت665هـ) الزركلي، الأعلام ج170/1.

(5) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج265/4.

(6) المرجع نفسه,ج265/4.

ويمدح أويس بن عامر القرني[1] بالتلاف بالحب الإلهي, يقول[2]:

سقَى ا ُ قومـاً مـن شـرابٍ ودادِهِ	فهاموا بهِ ما بـين بـادٍ وحاضـر
يظنهم الجاهـلُ جنـوا ومـا بهـم	جنون سوى حب على القومِ ظـاهر
سقوا بكئوسٍ الحب راحا مِن الهوى	فراحوا سكارى بالحبيبِ المـسامر
يناجونه في ظلمـةِ الليـل عنْـدما	به قد خلوا منهم أويس بـن عـامر
شهير يماني حوى المجـد والعـلا	لنا فيه عالي الفخر عِنـد التفـاخُر

يقول اليافعي عنه: أنه كان يقتات من المزابل ويكتسي منها,وكان أهله يقولون هو مجنون,وأقاربه يستخفون به ويستهزئون والصغار به يتولعون,وبالحجـارة لـه يرجمون[3].

ويمكن أن نضع هذه الأبيات تحت عنوان التلاف في الحب الصوفي,فقد وصل الحال ببعض المتصوفين لدرجة التقشف والبعد عن الناس وسكن القفـار والقبـور والأكل من المزابل والابتعاد عن العمل والانقطاع للعبادة لنيل رضى المحبـوب ا عزوجل ,لأنه يعد عندهم فعلاً إيجابياً مرغوباً ومحبباً,ورد في الرسالة القـشيرية أن أبا حمزة البغدادي عندما سئل عن علامة الصوفي الصادق قال:"أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة,وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعـد الفقـر ويعزّ بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء"[4] لذلك كان المدح بصفات الفقر والزهد,وإخفـاء الشهرة والانقطاع عن الناس.

---

(1) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني,من بني قرن بن ردمـان بـن ناجيـة ابـن مراد:أحد النساك العباد المتقدمين,من سادات التابعين.أصله من الـيمن,يـسكن القفـار والرمال,أدرك حياة النبي صلى ا عليه وسلم,ولم يره,شهد وقعة صـفين مـع علـي ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها 37هـ,الزركلي، الأعلام ج1: 32.

(2) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص178.

(3) المرجع نفسه,178.

(4) القشري, عبد الكريم بن هوازن(465هـ),الرسالة القشيرية,تحقيق عبد الحليم محمود و محمود الشريف,مطبعة انتشارات بيدار,ص273.

يكثر اليافعي في مدحه من استخدام لفظ السيد والملك والولي للممـدوح مـن ذلك قوله يمدح أبا الغيث[1]:

أيا سيد كم سـاد بالفـضل سـيد ... بكـل زمـانٍ ثـُم كـل مكـان

إذا أهلُ أرضٍ فاخروا بـشُيوخِهم ... أبو الغيثِ فينا فخـر كـل يمـان

وقوله[2] :

ملوك البرايا ليس يـشقى جليـسهم ... لهم بيض رايات العلى في المحافِـل

كـسادتنا مـنهم شُـموس عواجـة ... إلى الحكم السامِي انتساب الأفاضـل

ومثل أبي الغيثِ المقدّم فـي العلـى ... كبحرٍ بعيد الغَـور نائى الـسواحِل

وشيخه ذي المجدِ النجيبِ ابن أفلـح ... وأهدِ لهـم صـدر الكبـار الأماثـل

يورد الشاعر هذه الألفاظ لقصد التقدير والتعظيم لشأنهم, فهاهو يمدح في أخرى على بن عبد ا اليمني الطواشي بالولاية والسيادة, ويصور سعادته بقدوم الطواشي لزيارته, يقول[3]:

لقد حقْ لي ياهند أنشد فـي الهـوى ... ولاقَ يحالي حين جاء سـيدي عِنْـدي

خليليّ هـل أبـصرتُما أو سـمِعتُما ... بأكرم مِن مـولى يمـشي إلـى عبـدِ

وهو في التقديم له في كتابه مرآة الجنان يقول:"شيخنا,وقدوتنا,وسيدنا ,وبركتنا الشيخ الكبير العارف با الخبير,خزانة الأسرار,ومطلع الأنـوار,الفقيـه الناسـك, المجـذوب الـسالك ,ذو الأحـوال البـاهرة والمكاشـفات الظـاهرة,والكرامـات الخارقة"[4].فالشاعر من خلال أبياته يعبر عن الحب القوي لهم والتعظيم لشأنهم والجد لنيل رضاهم وحبهم والقرب منهم.

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج94/4.

(2) المرجع نفسه,ج98/4.

(3) المرجع نفسه,ج4/ 234.

(4) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج233/4.

2. 2 الحب الإلهي

"نشأ مصطلح الحبّ الإلهي بمعناه القريب في الحياة الروحية في الإسلام في القرن الثاني الهجري,وكانت الحياة قبل ذلك يحركها عامل الخوف من ا عز وجل ومن عقابه,وكان الحسن البصري(ت110هـ) أبرز ممثلي هذا الطور في حياة الزهاد والعباد الأوائل,فقد عرف عنه أنه كان يبكي من خوف ا حتى قيل"كأن النار لم تخلق إلا له" وقد وصف أبو نعيم الأصبهاني الحسن البصري في كتابه "حلية الأولياء" فقال :حليف الخوف والحزن,أليف الهم والشجن,عديم النوم والوسن,أبو سعيد الحسن ابن أبي الحسن الفقيه الزاهد المتشمر العابد,وكان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً ولشهوة النفس ونخوتها واقدا"[1] ورابعة العدوية(ت185هـ) [2] هي أول من أخرجت التصوف من الخضوع لعامل الخوف إلى الخضوع لعامل الحب,وهي أول من استخدم لفظ الحب استخداماً صريحاً في مناجاتها وأقوالها المنثورة,فهي تعبد من أجل محبة ا عز وجل لا من أجل الخوف من النار أو الطمع في الجنة, وكانت مصداقاً لقوله تعالى:(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [3] ,ولقوله صلى ا عليه وسلم"اللهم أجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد"[4].

فالصوفي يرتقي ويتسامى بروحه وأحاسيسه في الطريق إلى الحق, مبتغياً الوصول إلى الحضرة الإلهية حيث يكون الفناء في الحضرة الإلهية هو الغاية والهدف,وقد تحدث كثير من الصوفية في المحبة ومن أشهرهم سمنون,ثوبان بن

---

(1) عبد الدايم,صابر، الأدب الصوفي اتجاهاتـه وخصائـصه,دار المعـارف,ط2/ 1984م ص25,نقلا عن حلية الأولياء لأبي نعيم وكتاب التصوف في الأدب لمحمد الجيوشي.

(2) رابعة العدوية ,متصوفة توفيت سنة 135هـ أو 185هـ ـ قـصرت حبهـا علـى ا وحده,انظر بدوي,عبد الرحمن,شهيدة العشق الإلهي,رابعة العدويـة,مطبعـة النهـضة المصرية ط2/ 1966م ص52.

(3) المائدة /آية:54.

(4) أخرجه الترمذي ,73 برقم(3490).

ابراهيم(ت قبل 297هـ) الذي كان أكثر حديثه في المحبة,وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة والأكثرون يقدمون المعرفة على المحبة[1].

ويتطور الحب الإلهي عند الصوفيين إلى درجة أكبر..فقد تجـاوز مرحلـة الخوف و الشكوى,و المناجاة,و الترغيب في هذا الحب إلى الإتحاد التام بين الخـالق والمخلوق, وهتف بعض المتصوفين بعبارات صدمت الفقهاء, وكانت غريبة علـى البيئة الإسلامية التي تؤمن بالطبيعة البشرية وانفصالها عن الذات الإلهية,لقد تحـول التصوف من ذلك السلوك العفوي من زهد وخوف وحـزن وحـب إلـى التجـاهر بمواقف هي أقرب إلى الأسلوب الثوري منها إلى أسلوب النسك وبرزت ظاهرة لـم يكن للأمة عهد بها,وهي الإتحاد والحلول[2].

1. الاتحاد :في اللغة أن يصبح شيئان أو أكثر شيئاً واحداً,وعند الصوفية مذهب يشير إلى اتحاد المخلوق بالخالق,لكن هذا الاتحاد ليس حقيقياً وإنما هو شعور يتجاوز كل كثرة ولا يعود الصوفي يثبت إلا وجود ا , بينما يعرفـه الجرجـاني"هـو تصيير الذاتين واحدة... اتحاد الكل بالواحد"[3] أو يقصد به أن يـصير المحـب والمحبوب شيئاً واحداً في الطبيعة.
2. الحلول:من النزول بمعنى نزول الشيء في الشيء وهو على قسمين:

أ. حلول سرياني:اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحداهما عين الإشارة إلـى الآخر كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالاً والمسري فيه محلاً.

ب. حلول جرياني:أن يكون أحد الشيئين طرفاً للآخر مثل الماء للكأس"[4].

3. الفرق بين الاتحاد والحلول

إن الاتحاد شهود وجودٍ واحدٍ مطلق وجميع الأشياء موجودة بوجوده معدومة في نفسها لا أن للأشياء وجوداً خاصاً يتحد بالحق,إن الإتحاد أمر صعودي,فيرتفـع الإنسان إلى المقام الأعلى فيحتويه,أما الحلول فهو أمر نزولي حيث يهبط ا فيحـل

---

(1) عبد الدايم, الأدب الصوفي اتجاهاته وخصائصه,ص43.

(2) المرجع نفسه,ص47.

(3) الجرجاني,علي بن محمد,التعريفات,بغداد,دار الشؤون الثقافية 1986م,ص245.

(4) الجرجاني, التعريفات,ص245.

في بعض الخواص من الناس,تعالى ا عن هذا علواً كبيراً وهو ما عبر عنه السلمي بالفناء وعد"القول بالفناء والحلول من غلطات الصوفية"[1].

ونظرية الاتحاد والحلول نادى بها البسطامي, طيفور بن عيسى (ت262هـ) ومن بعده الحلاج وكانت له مقوله شهيرة أدت لصلبه في بغداد سنة309هـ وهي قوله"أنا الحق" "أنا ا " والغريب أن الصوفية لم يكفروا الحلاج ولكنهم غلطوه,ومن نظرية الحلول قول الحلاج[2]:

مزجتْ روحك في روحي كما	تُمزج الخَمرة بالماءِ الزلال
فإذا مسك شيء مسني	فإذا أنت أنا في كل حال

والنفيري[3] (ت345هـ) صاحب كتاب (المواقف والمخاطبات) قد وقف من الذات الإلهية موقفاً جريئاً,فجعل الخطاب بينه وبين ا مباشراً من دون وساطة حيث قال:"إن وقفت بين يدي لأنك عبدي,مات ميل العبيد, وإن وقفت بين يدي لأني ربك جاءك حكمي القيوم فحال بين نفسك وبينك"[4].

أما سلطان العاشقين عمر بن الفارض (ت632هـ)[5] فقد عبر في شعره عن الحب الإلهي وعن اتصاله بالذات الإلهية والفناء فيها وشهود الحق, وخاصة في قصيدته الطويلة التائية الكبرى[6].

---

(1) السلمي,محمد بن الحسين,غلطات الصوفية,تحقيق عبد الفتاح النادي,م/الإرشاد1985م/189.

(2) الحلاج(الحسين بن منصور)ديوان الحلاج,تحقيق كامل مصطفى الشيبي,بغداد, ط1 1974م, ص50.

(3) محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفيري,عالم بالدين متصوف نسبته إلى بلدة (نفر) بين الكوفة والبصرة/ الزركلي، الأعلام 184/6.

(4) النفيري(محمد بن عبد الجبار):المواقف والمخاطبات,تقديم,عبد القادر محمود,الهيئة المصرية العامة للكتاب,القاهرة 1985م/ص89.

(5) عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل ,أشعر المتصوفين في شعره فلسفة تتصل بما يسمى (وحدة الوجود) الزركلي، الأعلام 55/5.

(6) إبراهيم, محمد، الشعر والتصوف ,ص35.

ويعد محي الدين بن عربي (ت638هـ) صاحب مذهب وحدة الوجـود فـي الفكر الصوفي الإسلامي وهو تصوف مبني على القول بأن ثمة وجوداً واحداً فقـط هو وجود ا [1].

وكان من بين المنكرين لهم أبو الفرج ابن الجوزي(ت597هـ)الـذي أورد أخبارهم من ذلك "وكان هناك شخص يدعى (أبو حمزة) إذا سمع صـوت غـراب يقول:لبيك لبيك.فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولي زنديق"[2].

أما موقف اليافعي منهم فقد أورده في كتابه نشر المحاسن الغالية "وأما مـن اختلف في تكفيره.فمذهبي فيه بتوقيف وتوكيل الأمر فيه إلى ا سبحانه,وهذه الجبانة التي ذكرت إنما أراها محمودة في الأخطار الدينية"[3] ,حيث يقول[4]:

وإني جبان حيثُ أخـشى عواقبـاً	وإن كنت في تلك السلامة راجحة
أقـدم غَيـري طالبـاً لـسلامتي	وإن ظْن في تلك التِجارة رابحـة

وقوله أيضاً[5]:

وقائلــةٍ مــالي أراك مجانبــاً	أمـوراً وفيهـا للِتجـارةِ مـربح
فقلتُ لها مـالي بربحِـك حاجـةٌ	فَـنحن أنَـاس بالـسلامةِ نَفـرح

الحب الإلهي عند عبد ا اليافعي

إن الحب الصوفي فيه استقرار روحي, وفيه متعة الحب للجمـال المقـدس, والجلال, والحب هو أساس أحوال الصوفية ,ففيه يشربون رحيـق الحـب الأعلـى وينعمون بمتع ولذائذ روحية, تنسيهم دنياهم وأخراهم ووجودهم, وكل شيء سـوى

---

(1) التفتازاني, مدخل إلى التصوف الإسلامي, ط4، ص199.

(2) ابن الجوزي,أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن,تلبيس إبليس,دار الكتب العلميـة, ط1, 1367هـ/ص169.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص56.

(4) المرجع نفسه,ص56.

(5) اليافعي, نشر المحاسن الغالية,ص56.

المحبوب وفيه تنشأ المعرفة والمشاهدة[1] والشاعر يظهر حبه وحنينه وشوقه لرؤيـة جمال الأسرار والكرامات الإلهية, وتحسره لعدم نيله لها, حيث يقول[2]:

فيا أسفا يا حـسرتا يـا مـصيبتا ... ويا ضيعةَ الأعمارِ سوقَ المواسِمِ

كما لم نكن كالغيرِ أهـلا لقربـهِ ... لقد فَاتَنا كـل المنـى والمكـارِمِ

نَموتُ ولم ننظـر جمـال جلالـهِ ... ولم ندرِ طَعم الحب مثـلَ البهـائم

فلو شَاهدتْ ذاك الجمـالَ عيوننـا ... سكِرنا وغِبنا عن جمِيـعِ العـوالِمِ

فأصحاب الطريقة الصوفية لهم مقامات وأحوال كثيرة يجب أن يتبعها السالك حتى يصل إلى أعلى قمة الحب الإلهي, وهي حالة السكر.يقول اليـافعي فـي هـذا الصدد:" علم المعارف هي علوم لا تنال بالكسب,إنما بالمواهب,فهي أفضل العلـوم وأصحابها أفضل العلماء فإن كنت ممن ينكر ذلك...فاعلم أنني وأنت ممن لم تلح له أنوار تلك الحضرة,ولم نشرب من راح الهوى"[3] وفي هذا المعنى يقول[4]:

إذَا أنْتَ لم تَكْشفْ قنـاع المعـارف ... وتَشهد صفاتٍ حيّرت كل عـارفِ

وتَشْرب من الراح التي من يـشّمها ... تميلُ به قبـلَ ارتـشافِ المغـارفِ

وتضرب لك الأكوان في حين تجتلي ... عرائس أنـوارٍ بـدت بالمعـارفِ

ويظهر حبه وشوقه في رغبته في رؤية أسرار الربوبية,والتي تحتـاج إلـى عزم وصبر في أمور الشريعة حيـث يرمـز إلـى الأسـرار الربانيـة,وطريـق الشريعة,بسلمى وسعدى, يقول[5]:

فُؤادي بعذْبات المعـاني معـذب ... وقلبي بنـارٍ مـن قِلاهـا مقلـب

تعوض عن سلمى بسعدى ووصلها ... عزيز ومن لم تمنح الوصلَ يتعب

معنى فلا من ذي ولا ذي مواصل ... فبين هوى سلمى وسعدى مذبـذب

(1) سرور,طه عبد الباقي,الحلاج-الحسين بن منصور-شهيد التصوف الإسلامي ,دار نهضة مصر,القاهرة 1981م/ص26.

(2) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص65.

(3) المرجع نفسه, ص65.

(4) المرجع نفسه,ص65.

(5) اليافعي, نشر المحاسن الغالية,ص78.

يلاقي العنا في حبها كي يرى الهنا ومِن دونها الأهوال بالعزمِ يركب

وفي وصلها بالنفسِ يـسمح طيبـاً يرى ذا قليلاً في هواها ويرغـب

ويحث الشاعر على الموت من أجل الوصول للحب الإلهي والأسرار الإلهية[1]:

بنَفْسك رد هيجا هواها ورح ومِن دمائك سيفُ الحب حالٌ مخـضب

فَما وصلها الغالي بنَفْـسِك غاليـاً ولا ذاك عن أهل المحبةِ يـصعب

ويقول[2]:

فما فاز بالمجدِ الأثيل مـن الـورى سوى من لدى الأهوال بالنفس يسمح

فأما جبـان عـزتِ الـنفس عنـده فذاك الذي بالذّلّ يمـسي ويـصبح

تعـرّض لنفْحـاتِ الإلـهِ وبابِـهِ أدم قرعـه فالبـاب يوشـك يفـتح

ويبيح الشاعر أن تقتل النفس في سبيل الحب الإلهي , يقول[3]:

بمـذهبهم قَتْـلُ الغـرامِ شـهادةٌ وشُهد ومحقـون الـدماءِ مبـاح

وللشاعر أبيات في الوله عز وجل الذي يوصل صاحبه لاعتقاد النـاس بجنونـه, يقول[4]:

سقى ا ُ قوماً مـن شـرابٍ ودادِهِ فهاموا بِهِ مـابين بـادٍ وحاضـر

يظُنهم الجاهل جنُـوا ومـا بِهـم جنون سوى حبّ على القومِ ظاهر

اشتهر شعراء الصوفية بالزهد والتقشف والبعد عن ملذات الدنيا لنيل رضـي ا عز وجل, وقد عكس الشاعر هذه النظرية الصوفية في شعره فهو يفـضل العـيش بالمزابل على العيش في القصور[5]:

أحن ارتياحـاً للمزابـل لا إلـى قُصورٍ وفرشٍ بـالطراز توشـح

وأمـنح ودّي للمـساكين صـافياً مُجالسهم والهجـر للغيـر أمـنح

---

(1) اليافعي, نشر المحاسن الغالية,ص78.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص55.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص81.

(4) اليافعي,روض الرياحين,ص417.

(5) اليافعي , الإرشاد والتطريز/ص66.

ويظهر الحب الإلهي عند اليافعي,من خلال دعائه في أبياته فهو يتمنى ويطلب بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, أن يكون مذهبه الاشتغال بحب الله عز وجل يقول[1]:

إلهي بجاه المصطَفى سيد الــورى ... وملجؤهم من كل ما مِنه يِرهــب

أنلني منائي مِنْك يا غايــةَ المنــى ... لأ ضحى ولي شُغل بحبّك مــذْهب

ويتضح حبه من خلال حب اليافعي لأولياء الله أصحاب الكرامات واضح مــن خلال أبياته لأنهم القدوة له لنيل حب الله عز وجل,وكثيراً ما يردد اليــافعي حــديث الرسول صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحبه) في مؤلفاته حيثُ يقول:"انتــسابي إلى مذهب السادات الكرام ومدحي لهم وحبي إياهم على الدوام يكفيني ويوصلني إن شاء الله لبلوغ المرام"[2], فيتجلى الحب الإلهي عنده من خلال حب السادات الأوليــاء الذين ظهرت لهم الكرامات والجمال الإلهي, يقول[3]

وإنّي وإن عجز عرانــي محــبكم ... فــأنتم لقَلبـــي خُلْـــدهُ ومآبــــه

فهل من فتى منكم إلى جذبٍ عاجزٍ ... شديد القُوى سهل عليــه اجتذابــه

إلهي الفقير اليافعي لــيس عنــده ... ســوى حــبّهم ذا زاده وركابــه

والجذب الذي ورد في الأبيات هو"تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه"[4] ,يقول الطوســي صاحب كتاب اللمع :"للمجذوب بعد جذبه إلى مقام القرب إحدى حالتين فقد يــستقر في هذا المقام ولا يرجع إلى ما كان عليه فسمي عاشقاً ,وقد يعود إلى حالته الأولــى ويواصل سلوكه فيسمى المجذوب السالك بالجذب, وهو مؤهل لرتبة المشيخة وتربية المريدين, أما السالك المجرد لا يصلح لهذه الرتبة"[5].

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج242/4.

(2) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص100.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص51.

(4) الكاشاني,معجم اصطلاحات الصوفية,ص65.

(5) الطوسي,عبد الله بن علي,اللمع في التصوف,تحقيق عبــد الحلــيم وطــه عبــد البــاقي سرور,دار الكتب الحديثة,مصر,1960م/ص445.

ويعتذر اليافعي عن حالات الشطح التي ترد على بعض المتصوفة بغياب الحال من شدة الحب الإلهي, منهم الحلاج حيث يرى أن الحب الإلهي طغى عليه وأخرج قوله إلى باب الشطح والزلل ولم يكفره[1] , يقول[2]:

وبعض عن الأكوان فانٍ وبعضهم	به جاوز الإسـكار حـداً فعربـدا
فسل عليه الشرع سيفاً حمـى بـهِ	حدوداً فَرى الحلاج ماض محـددا
فمات شهيداً عندكم مـن محقـقٍ	وكم عندهم يخْرج من النهج ملحدا

وقال قصيدة في ابن الفارض سماها"لباب اللب في مدح شهيد الحبّ" ,وعـن قتله في سبيل الحب الإلهي, منها[3]:

قتيلُ الهوي في مذهبٍ الحب والفَقر	بلا عوضٍ حاشَاه من طَابِ الأجـر
سوى رؤية المحبوب في ساعةِ اللقا	إذا ما قِتيلُ السيفِ عوض في الحشر
فَشَتان مابين المقـامين فـي العلـى	وبين شهيد الحب والسيفِ في القدر

وفي تنزيه ا عز وجل, يقول اليافعي[4]:

علا ربنا عن كيفَ أو أين أَو متى	وعن كل ما فـي بالنـا يتـصور
ونقصٍ وشـبهٍ أو شـريكٍ ووالـدٍ	وولْدٍ وزوجـاتٍ هـو ا ُ أَكبـر
قديم كلامٍ حين لا حـرفَ كـائن	ولا عرض حاشا وجسم وجوهر[5]

ويظهر الحب الإلهي عند اليافعي من خلال حبه للأماكن المقدسة وحرقته لبعده عنها, فهو يصور حرقة قلبه بتخلفهِ عن الركب وعدم رحيله معهم, يقول[6]:

---

(1) للتزود عن قتل الحلاج انظر ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الجزري, الكامل فـي التاريخ, دار صادر,1966م,ج167/6.

(2) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص304.

(3) المرجع نفسه, ص191.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص283.

(5) العرض:مالا يتقوم بنفسه؛بل يتقوم بغيره,والجسم مايتجزأ أي تنقسم أجزاؤه,والجوهر ما لا يتجزأ أي لا ينقسم,الفيومي، المصباح المنير.

(6) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص228.

لو يرحلُ الحي يوماً بالحبيبِ كووا — قلبي بنـار بعـادٍ بعـده وشـووا

يا حرقتا إن به راموا النوى ونَووا — من أَجلِهِ عن عريبٍ خيموا وثووا

دون المصلّى أُسائلُ كل مرتحل

واليافعي في حبه الإلهي الذي يعكسه على حب الأماكن المقدسة ففيها "يزار قبر الرسول الشريف,ومسجده يشد إليه الرحال,ومحبةُ الرسول في البيئة المتصوفة جزء من محبة الذات الإلهية"[1] يذكرنا بالشاعر الرومانسي وهو يتغزل بمحبوبتـه فقلبـه ينكوي بنار البعد,وفي قصائد كثيرة يجعل من الأماكن المقدسة وكأنها امرأة جميلـة من ذلك قوله[2]:

جمالُكُم مـدهِشٌ نفـسي محيرهـا — ونوركم مـن دياجيهـا منيرهـا

عن حبكم لايرى شـيء يغيرهـا — لو عن هوى عزّةٍ يـسلو كثيرهـا

وقيس ليلى لَما عنكم أنَا يِسلي

والشاعر كثيراً ما يذكر الأماكن المقدسة في أشعاره وهو انعكاس لحبه وهيامه في ا عز وجل, لما لها من جلال وعظمة في نفس كل مسلم,يقول: [3]

هذي ديار الأحبّـا قـد أضـاء بهـا — من حـسنهم بهجـة تَزهـو وأنـوار

فانظر ِإليها ترى غـال الجمـال بهـا — واشـتم للطيـبِ فالحـسناء مِعطـار

والثم ثراها وصـب الـدمع منتحبـاً — يشجوك شـوقٌ وللأحبـابِ تـذكار

وينبع حب اليافعي من خلال الحث على طاعة ا عز وجل والبعد عن المعاصي[4]:

فطُوبى لمن يمسي ويـصبح عـاملاً — على كـل شـيءٍ طاعـةَ ا ِ يـؤثر

بها يعمـر الأوقـاتِ أيـام عمـرِهِ — يـصلى ويتلـو للكتـابِ ويـذكر

ويأنس بالمولى ويستوحشُ الـورى — ويشكر في السرا وفي الضر يـصبر

ويرتـاح شـوقاً للأحبـة واللقـا — وخديـه مـن فـرط الغـرام يعفّـر

ويقول الشاعر في الاشتغال با عز وجل[1]:

---

(1) ضيف,شوقي، فصول في الشعر ونقده,دار المعارف,مصر 1971م/ص229.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص229.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص221.

(4) المصدر نفسه,ص284.

إن كُنتَ بالناسِ مـشغولا قَـدارهم أو كنْتَ بـا ِ ذا شـغلٍ وهمـاتِ
فـلا تُعلـق سـوى بـا ِ ذائقـةً إن المهـيمن كافِيـك المهمـاتِ

والتفكر في ملكوت ا هو المحرك للحب الإلهي,لذلك كان أهل التصوف يعتزلون الملا , ويختلون في البراري والجبال, يقول[2].

تُــسبح كــل الكائنــاتِ بحمــدِهِ سـماء وأرض والجبـالُ وأبحـر
جميعاً ومن فـيهن والكـل خاضـع لهيبتـهِ العظمـى ولا يتكبـر
لـه كـل ذَرّاتِ الوجـودِ شـواهد على أنه البـارى الإلـه المـصور
دحا الأرض والسبع السمواتِ شادها وأَتْقنَهـا للعـالمين لينظـروا

ويتجلى حبّ اليافعي من خلال التذكير بنعم الجنّة, يقول[3]:

دعِ القولَ في فانٍ وقُلْ في مـشوقٍ ِإلى جنةِ الفردوسِ والحورِ والبقـا
ولقيـا حـسانٍ ناعمـاتٍ مـنعمٍ بهن سعيد سـعد ذلـك مـن لقـا

ويمكن القول أن الحب الإلهي عند اليافعي كان على النحو التالي:
حب نشأ من ملاحظة نعم المولى الظاهرة والباطنة, وملكوته وهذا يتضح من خلال أبياته التي تدعو إلى التأمل في ملكوت ا عز وجل ونعمه, وحبه للأماكن المقدسة وبيان نعيم الجنة,ومحبة نشأت من حب الكرامات والأسرار الربانية وهذا يتجلى من خلال أشعاره التي تمدح النبي صلى ا عليه وسلم وأصحاب المقامات والكرامـات والأولياء المحبين, محبة نشأت من رغبة قوية في نفسه أن يصل إلى حـد مـشاهدة جمال الكرامات والفناء من أجل المحبة وتتضح من خلال أبياته التي يرغـب مـن خلالها بالموت في سبيل المحبوب ا عز وجل .

2. 3 الوعظ والإرشاد:

تحتاج النفس الإنسانية في التطور الإسلامي دائماً إلى التوجيه السديد,فهي في صراع دائم بين الخير والشر,وبين النور والظلام وبين الإقبال والإدبار.

---

(1) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج328/2.
(2) اليافعي، الإرشاد والتطريز,ص279.
(3) المرجع نفسه,ص252.

وحال القرآن الكريم النفس الإنسانية في مواضع كثيرة ,وأعطى لها صوراً متعددة, فهناك النفس المطمئنة التي خاضت مصاعب الحياة, وظلت بمنأى عن مغرياتها,ولم تستجب لإغراءتها,هذه النفس يخاطبها الحق سبحانه قائلاً(يأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي) [1] وهناك النفس اللوامة, وهي ما نطلق عليها (الضمير) ,وقد كرم ا هذه النفس فأقسم بها في قوله :(لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ) [2], وهناك النفس السوية في جوهرها وتقواها (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) [3] ,وهناك النفس الأمارة بالسوء (وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) [4], ولقد حث الرسول صلى ا عليه وسلم على جهاد النفس يقول لأصحابه: "عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر,قالوا:وما الجهاد الأكبر يا رسول ا ,قال:جهاد النفس".

ونما في تهذيب النفس عند الصوفيين بعد ذلك, ووقفوا منها موقفاً عدائياً, وقسوا على أنفسهم,وفرضوا عليها آداباً قاسية, فلبسوا خشن الثياب من الصوف وآخرون ارتدوا المرقعات وامتازوا بأكل الحلال من الرزق والبعد عن الحرام وما فيه شبهة كولائم العرس أو طعام الحكام.

وفي أواسط القرن الثالث الهجري تفلسف التصوف على يد ذي النون المصري وعلى يد الحارث المحاسبي الذي ألف كتباً كثيرة عدتْ من الأصول التي اعتمد عليها الغزالي عند تأليف كتابه,ثم ظهر(الجنيد) إمام الصوفية الذي صاغ التصوف وشرح معانيه, ومن أقواله"التصوف صفاء المعاملة مع ا ,المريد الصادق غنى عن علم العلماء" من تلاميذه الحلاج الذي قتل ببغداد سنة309هـ.لاتهامه بالحلول

---

(1) سورة الفجر:آية:27.

(2) سورة القيامة:آية:1.

(3) سورة الشمس:آية:7.

(4) سورة يوسف:آية:53.

والزندقة,ومنصور بن عمار المتوفي سنة225هـ,جعل النفس مرادفة للشر وقال سلامة النفس مخالفتها[1].

الوعظ والإرشاد عند اليافعي:

سخر الشاعر جزءاً كبيراً من شعره للوعظ والإرشاد, لأن اليافعي كغيره من شعراء الصوفية لا يكتب الشعر إلا لنيل رضا الله عز وجل, فشعره بعيد عن المجون واللهو وإتباع الهوى,فهو يحث من خلال شعره على فضائل الأعمال والبعد عن النقائص يقول اليافعي في التقوى وأنها خير بضاعة, يقول[2]:

عليك بتقوى الله يخرجك من ردى	ويرزقْك من غيبٍ وأنت مروح
هي العروةُ الوثقى هي الخير كله	هي الربح كل الربح يا متربح

ويقول كذلك[3]:

ألا إن تَقْوى الله خير بضاعةٍ	لصاحبها ربح بهِ ليس يخسر
وطَاعتَه للمتقى خير حرفةٍ	بها يكسب الخيراتِ والسعي يشكر

ويبين أحوال الدنيا والآخرة وانقسامها إلى حساب وثواب وعقاب, يقول[4]:

لَعمرك ما دنياك إلا ثلاثةٌ	ثواب ومع طول الحسابِ عِقاب
فَمن يقتَنيها مِن حلالٍ تنعماً	بطيبٍ لذات فتلك حِساب
ومن يقْتنَيها زينةً وتفاخراً	بها ومباهاة فتلك عقاب
ومن نَال منها ما يكون تعففاً	وعوناً على الطاعات ذاك مثاب

ويشبه الدنيا بالعجوز الشوهاء التي تخفي تحتها كل صفة قبيحة, ويحث على عدم الاغترار بها لأنها دار زائلة ,خلقنا فيها لنعبد الله عز وجل,وللشاعر شعر كثير في ذم الدنيا , يقول[5]:

---

(1) للتزود انظر: أحمد، عبد العال, الأدب الصوفي اتجاهاته وخصائصه,ص61,دراسات في التصوف والأخلاق, ص21.

(2) اليافعي، نشر المحاسن الغالية,ص215.

(3) اليافعي، نشر المحاسن الغالية,ص215.

(4) المصدر نفسه,ص153.

(5) اليافعي، الإرشاد والتطريز,ص57.

عجوز السوءِ سودا الجسمِ شَـوها وحدبا[1] تحـتَ أثـوابٍ حـسان

بهـا يغتـر غـر لـم يـشاهد عيوبـاً فـي هواهـا ذو افتتـان

جميع الدهر يجري لـيس يـدري بجـسمٍ مـن مخازيهـا مِـلان

وفي ترقيع الدنيا بتمزيق الدين, يقول[2]:

بدنيا نَبيع الـدين فالـدين ذَاهـب كما بيع منـزوع ودنيـا سـتُنزع

كما قَالَ رأس الزاهدين ابن أدهـمٍ على المقـام العـارفُ المتـورّع

"نُرقّـع دنيانـا بتمزيـق دِيننـا فَـلا دِينُنـا يبقـى ولا مـانُرقع"

وله أبيات في علاج القلوب من أمراض حب الدنيا[3]:

فترياقُ تقوى مع سفُوف رياضـةٍ ومع غارقون الذكر مغلي عـزائمِ

مـراهم أسـقامِ القُلـوب نَوافـع بها بـرء معلـولٌ وإيقـاظُ نَـائمِ

وأركان بنيـان الرياضـةِ عزلـةٌ وجوع وصمتٌ مع سهادٍ مـداومِ

وينهى الشاعر عن مجالسة أهل المعاصي لأنهم فتنة, وعدم حسدهم على تنعمهم بالدنيا لأنها فانية, يقول[4]:

ولا قط تَغبطْ أهـلَ دنيـا فَـإنهم غداً يغبطونك يحزنـون وتَفـرح

فمـــا ذاك إلا فِتنــــةٌ أي فتنـــةٍ بها شَهدتْ طه عن الحق تُفْـصِح

ولا قط أهلُ الظلم تَـركن إلـيهم مع القوم تُحشَر ثم في النار تُطْرح

ويحذر من الرئاسة لأنها تجرح الدين, يقول[5]:

وإيّـاك إيّـاك الرياســة إنهــا هي الداء كل الداءِ للـدين تَجـرح

ويحذر من الولاية لأنها تهلك صاحبها[6]:

---

(1) حدب الإنسان إذا خرج ظهـره وارتفـع عـن الاسـتواء ,الرجـل أحـدب والمـرأة حدباء,الفيومي، المصباح المنير,ص77.

(2) اليافعي، الإرشاد والتطريز,ص26.

(3) اليافعي، روض الرياحين,ص90.

(4) اليافعي، الإرشاد والتطريز,ص60.

(5) المرجع نفسه,ص121.

(6) المرجع نفسه,ص121.

وإيــاكَ إيــاكَ الولايــاتِ إنهــا ... لها قُحم تُولى الردى من لها والـي

وفي الغيبة ,وأكل لحوم الناس وحالهم يوم القيامة, يقول[1]:

وكم مِن مـسبحاتٍ علقـتْ فـي ... حلـوقٍ مـنْبحاتٍ للرقـابِ
لقـذفي غيبـةٍ عمـتْ وطمّـت ... مصيباتٍ بها كـم مـن مـصابِ
بمقراضٍ مـن النيـران قـرّض ... لـساناً ذات قـرضٍ واغتيـابِ

وكثيراً ما يعظ اليافعي النساء في أشعاره ويمدح القانتات الخائفات من عقاب ا عز وجل, يقول[2]:

وقلْ للغواني مـن أرادتْ سـعادةً ... تَوقي عذاباً بالنسا صـار محـدقاً
فأكثر أهـل النـار هـن حقيقـةً ... روينا حديثاً فيه صِـدقاً مـصدقا
تُخلى التباهي تُبدلُ اللهـو بالبكـا ... وتبذُلُ كلَ الجهدِ في الزهدِ والتُقى
وتعتاض عن لينٍ بـدنيا خـشونةٍ ... وعن يابس في الدين أخضر مورقا

ويعظ ببيان أهوال نار جهنم, بقوله[3]:

لها شَرر كالقصر فيهـا سلاسـلٌ ... عِظام وأغلالٌ فغُلـوا وجرجـروا
عـصاةٌ وفجـار وسـبع طباقُهـا ... وسبعين عاماً عمقُها قد تهـوروا
وحياتُها كالبخـتِ فيهـا عقـارب ... بغالٌ وضـرب والزبـاني ينْهـر
غليظٌ شـديد فـي يديـه مقـامع ... إذا ضرب الصم الجبـال تكـسر
ومطعـومهم زقومهـا وشـرابهم ... حميم بها أمعـاؤهم منـه تَنْـدر

ويعظ الشاعر بذكر القبر وما يلاقيه الإنسان بعد الموت, يقول[4]:

ركوب الـنعش أنـساهم ركوبـاً ... على الخيـل العتيقـاتِ النجـابِ
وليــلُ القبــر أنــساهم لليــلِ ... به عـرس المليحـات النخـابِ[5]
وأنـساهم لفـرشٍ ناعمــات ... لها قـد زينـوا فُـرشَ التُـرابِ

---

(1) اليافعي، الإرشاد والتطريز,ص211.

(2) المرجع نفسه,ص253.

(3) المرجع نفسه,282.

(4) المرجع نفسه,ص57.

(5) اليافعي، في روض الرياحين ص546:النقاب,والنخاب جمع نخبة :المختار من الشيء.

علا الدود الخُدود وغـاص فيهـا أكُـ ـولاً للبهيـ ـات التـ ـرابِ

وهاهو يعظ بذكر الموت والقبر والشيب, بقوله[1]:

تَسمع من الأيامِ تُخبـرك بالـذي قَضى في جميع الكائنـاتِ قَـديما

ستُبديه شيئاً بعد شيء إلى الـورى يـسوق شـقاء نحـوهم ونَعيمـا

فيا سعد ذي عيشٍ يـدوم نعيمـه وخيبة مقطـوعٍ يـؤول جحيمـا

ويا ليت لذاتٍ مضت لم تكُن ويـا ضياع كـريمٍ,كـم أتَـاك كريمـا

إذا ضاع مِن أنفاسٍ عمر جـواهر به جـل خُـسران يـراه مقيمـا

ويعظ الشاعر بذكر الشيب وأنه تنبيه للإنسان بترك المعاصي والتقرب إلى ا ,

يقول[2]:

منازلُ الشيخ من خَمسين قَبل بدت من أربعين وفِيهـا الانتِهـاء فَنَـا

وبعد ذاك رحيـلٌ نَحـو دار بقـا فِيها نَعـيم وسـعد وشـقا وعنـا

حسب اكتساب لطاعاتٍ ومعـصيةٍ إليهما السابقُ المقـدور قَـاد لنـا

فضلاً وعدلاً,ومن شاء الكريم حبا عفواً وخير الذي عِـصيانه ودنـا

منازلُ الكُهل بين المنزلين ثَـوت للصالحين بها عيشُ القلوبِ هنـا

ويدعو اليافعي بالتسليم بالقدر خيره وشره, بقوله[3]:

ما ثم شيء سوى التـسليم للقـدر في كل ما جاء من نفع ومن ضرر

دع التقـادير والتـدبير ذاك إلـى مولى عليمٍ حكيم بـارئ الـصور

مدبر الأمر في الدارين مـن أزلٍ بلا شريكٍ على ما شـاء مقتـدر

ويحث على العلم,ويفضل علوم الدين لأن فيها صلاح الدارين,ويذم علم النجوم, بقوله[4]:

أيا سائلي عـن خيـر مـا يـتَعلم من العلـمِ تَـاج للمعـالمِ معلـم

جميع علوم الدين يعظـم قَـدرها ولكن قدر الفقـهِ أعلـى وأعظـم

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج67/2.

(2) المرجع نفسه,ج188/3.

(3) اليافعي:نشر المحاسن الغالية,ص111.

(4) المرجع نفسه,ص221.

فذاك عماد الدين حقاً ومـن يـرد	به الـ خيـراً علـم ديـن يفَهـم
ولكــم بــالعلمِ يحمــد عامــلٌ	ويرفع في الدارين قـدراً ويكـرم
وجملــةُ أنــواع العلــومِ كثيـرةٌ	ولكن مـن أنواعهـا مـا يـذمم
وأحكامهـا لاشـك ترجـع كُلهـا	إلى خمسة فيما بهِ الشرع يحكُـم
فَفَرض ومندوب حميـدان معهمـا	مبـاح ومكْـروه كـذاك محـرم
كعلمِ نجومٍ ذمـه الـشرع محتـوٍ	على الكُفْر فارفُض ما يقولُ المنجم

ويحث الشاعر على العلم والتفقه بعلوم الدين لأنها السبيل للإرشاد والهداية, يقول[1]:

ففي العلمِ مصباح وفي الجهل ظلمةٌ	تَكُون خـلافَ الاهتـداء وضـلائلُ
ولكـن نُـور العلـمِ بـا فـائقٌ	على كـل نـورٍ للعلـوم وفاضِـل
ويتلُوه عِلـم الفقـهِ,إذ عـم نَفعـه	بهِ الخَلـق,والخَـلاق كـل يعامـلُ
فَذَاك هـو المقـصود لكنـه إلـى	وسـائل محتـاج بِهـا يتَكامـلُ
وللعلمِ فَـضلٌ لـيس يجهـلُ قَـدره	سوى جاهل ما فَوق ذلـك جاهـلُ

من خلال ما تقدم يتضح أن شعر الوعظ والإرشاد عند اليافعي كان بالحث على فضائل الأعمال التي تقرب العبد من ربه ,ووعظ بترغيب الترك لنقائض الأعمال, منها حب الدنيا ببيان زوالها,وترك الغيبة وحب المال والرياء وغيره...ووعظ بالتهويل والتذكير من خلال أبياته التي يذكر فيها أهوال نار جهنم والقبر وعذابه.

2. 4 نظم القواعد الصوفية:

عندما بدأ التصوف يسعى لتسجيل تجربته الدينية في فقه القلوب,أو فقه الباطن استكمالاً لفقه الجوارح أو فقه الظاهر,راعى قضية مهمة في منظومته الفقهية,وهي النظرة التكاملية الشمولية التي تحكم بناءها,وذلك من خلال تقييد التجربة الروحية بقوانين الشريعة ومنظومة فقه القلوب لها ثلاثة أركان: الركن الأول الشريعة, وقد وصفت بأنها "الائتمار بالتزام العبودية"[2] والركن الثاني الطريقة,وقد وصفت بأنها

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج3/ص256.

(2) الجرجاني,التعريفات,ص127.

"السيرة المختصة بالسالكين إلى ا تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"[1] والركن الثالث الحقيقة, وقد عرفت بأنها "فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً,لا علماً فقط"[2].

كثُر في شعر اليافعي نظم قواعد أهل التصوف وتجاربهم وطرقهم والمقامات والأحوال التي يسلكها المريد,والحث على السير في هذه المقامات التي ترقي المريد لنيل الهدف الصوفي وهو المشاهدة والحضرة الإلهية.

يقصد اليافعي من وضع القواعد الصوفية شعراً ليسهل حفظها وتداولها,وليظهر مقدرته الشعرية, فهو في مؤلفاته يذكر المقام ثم يستشهد به بشيء من شعره الذي يحليه باقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وكرامات الأولياء من ذلك قصيدته المسماة"عذبة المعاني الدقيقة في التغزل بين الشريعة والحقيقة" [3],يقول:

فؤادي بعذْبات المعـاني معـذب	وقلبي بنـار مـن قلاهـا مقلـب
تَعوض عن سلمى بسعدى ووصلها	عزيز ومن لم يمنح الوصلَ يتعب
معنى فلا بين ذي ولا ذي مواصلٌ	فبين هوى سلمى وسعدى مذبـذب

والحقيقة عند اليافعي هي مشاهدة أسرار الربوبية,والطريق الموصل لها هي عزائم الشريعة,فمن سلك تلك الطريقه وصل إلى الحقيقة. ولقد رمز للحقيقة "بسعدى" والطريق الموصل لها "بسلمى" فهو جعلها امرأة تُخطب, ولها مطالب, فهي تريد التفقه في الدين,والذي لديه راية بيضا في الفقر والمصدق بحقيقتها, يقول[4]:

لعزٍ معالي الفقهِ من قبـلُ خاطـبٍ	وبيض العلا في الفقر من بعد يخطب
ولم ترض إلا صادقاً مـصدقاً لهـا	بماضٍ به في معركِ الحرب يضرب

ويفصح عما في نفسه في الأبيات وأنه بالأماني والدعاوي يريدها,ويغري أولى الهوى إليها, يقول[5]:

---

(1) الجرجاني,التعريفات,ص141.

(2) المرجع نفسه,ص90.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص77.

(4) المرجع نفسه,ص77.

(5) اليافعي,نشر المحاسن الغالية، ص77.

ومن بالأماني والدعاوي يرومهـا ولم يفن نَفساً في هواها ويـذهب
وأصبح مِثلي قائلاً غَيـر فاعـلٍ ولا عامـل بـالعلمِ ذلـك يكـذّب
ولكنني مع ذاك أغرى أولى الهوى وأدعو إليها كُـل خـالٍ وأنـدب
أحِب محبيهـا وأرتـاح نَحوهـا وفي مدحِها بالنَظْمِ والنَثْر أطْنـب

ويحث على الموت من أجل الوصول للحقيقة, بقوله[1]:

أخَا الحب نَافس في هواها ومت بِها لتَحيا ففيها الموتُ يحلـو ويعـذُب

ويقول في مقطع آخر[2]:

وأثْني على سـعدى بِغـالي جمالُهـا ليمــسي إليهــا ذو النــوى يتقــرب
ويلقى الهوى الجافى طَريحـاً ببابِهـا وذي النأي يضحى وهـو دانٍ مقـرب
يسقى كؤوس الوصل من خمرةِ الهوى ويحلو له في حضرة القـدسِ مـشرب
شَراب له التنزيـه لـم يـأتِ حانـة ولـم تَـسقه هِنـد ودعـد وزينــب

ويمثل اليافعي للحقيقة وهي"الإشارات الإلهية"بامرأة جميلة يتقرب إليها صاحب الهوى المتيم بحبها ليسقى كؤوس خمره الهوى من القرب منها,فالنظرة الأولى للأبيات توحي أنها أبيات خمرية تذكرنا بخمريات أبي نواس,ولكن هذه الصورة ما هي إلى رموز أشتهر بها أهل التصوف,فالألفاظ الصوفية تتجاوز المعنى الظاهر إلى المعنى الانزياحي,فهذه المرأة هي الإشارات والأسرار الربانية, وكؤوس الخمر تتعدى الدلالة الحرفية الموجودة في القرآن الكريم والسنة, التي تمثل السكر والخبث والرجس,لتأخذ دلالة ايجابية رمزية تمثل الصفاء والانتشاء الرباني وحتى هذه الدلالة الرمزية لا يستطيع الإنسان الذي لم يعش التجربة الصوفية أن يفسرها ولا يفسر ماهية الشعور الذي يلقاه المتصوف في حالة الانتشاء والسكر والهيام الرباني. وهذه الانزياحات موجودة بكثرة في شعر اليافعي نفصل القول فيها في الدراسة الفنية

ويقول اليافعي في التوبة وهي أول مقامات السالك[3]:

على ما عصى ربـه مـن أسـا يقاســي احتراقــاً بنــار الأســا

(1) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص77.
(2) المرجع نفسه,ص78.
(3) المرجع نفسه,ص128.

ويـ ـذرى دموعـ ـا علـ ـى عمـ ـره   يجنح الـ ـدجا والـ ـضحى والمـ ـسا
ويـ ـ ـشْكُو إلـ ـ ـى ربـ ـ ـه مابـ ـ ـهِ   عـ ـسى أن يتَـ ـوب ويعفُـ ـو عـ ـسا

واليافعي يصف حال المذنب في حالة التوبة والرجوع إلى ا عز وجل ,والتوبة بمعناها العام هي: الاعتراف بالذنب والرجوع عنه بالطاعات,أما معناها الخاص عند أهل التصوف,فتعتبر التوبة من أول مقامات السالك,وعلى شرط إحكامه يتأسس الطريق "أصل كل مقام,وقوام كل مقام,ومفتاح كل حال,وهي أول المقامات,وهي بمثابة الأرض للبناء,ومن لا توبة له ,لا حال له ولا مقام"[1].

ويقول في الورع[2] وهو المقام الثاني من مقامات السالكين:

جليلُ العطَايا في دقيـ ـق التَـ ـورع   فَدقق تَنل عـ ـالي المقَـ ـام المرفْـ ـع
وتَسلم من المحظُور في كل حالـ ـةٍ   وتَغْنَم مِن الخَيراتِ في كل موضِع

والورع من خلال الأبيات أن تسلم من المحظورات,أي ما جاء النهى عنه في الكتاب والسنة.وله مراتب هناك ورع الخصوص"وهو ورع عن كل ما للنفس فيه شهوة,أي أن صاحبها يؤدبها ويعكس طلبات نفسه الشيطانية والشهوانية"[3].

ولليافعي قصيدة في فضل مقامات السالكين,مشتمل على عشر لمقامات وعشر من الأحوال السنيات,سماها"جواهر معارف أهل السلوك التي لا تلقى بخزائن الملوك",منها[4]:

إذا رمتَ إكْسِير الهـ ـدى قَالبـ ـاً بـ ـهِ   نَحاس ضلال جـ ـوهرٍ خُـ ـذْه منْعوتـ ـا
عقاقير[5] من فَقـ ـرٍ وزهـ ـدٍ وتوبـ ـةٍ   ومع ورع صـ ـبرٍ يكُـ ـن مـ ـرة قُوتَـ ـا
وشُكرٍ وخـ ـوفٍ مـ ـع رجـ ـا توكـ ـل   وحسن رضى فيما بـه من قضا تُـ ـوتى
فَضعها معاً في بوطة الصدق موقِداً   بنـ ـار الـ ـشجى تَأتِيـ ـك درّاً وياقُوتـ ـا

---

(1) السهروردي البغدادي,عبد القاهر بن عبد ا ,عوارف المعارف,ملحـ ـق بنهايـ ـة الجـ ـزء الخامس من إحياء علوم الدين للغزالي,دار الفكر بيروت(د.ت)ص303.

(2) للتزود عن مقام الورع, انظر الطوسي، اللمع,ص71.

(3) شرقاوي,حسن، معجم الألفاظ الصوفية,مؤسسة مختار, 1987م,ص284.

(4) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص93.

(5) العقار بالفتح والتثقيل الدواء والجمع عقاقير,الفيومي، المصباح المنير,ص250.

جـواهر لا تلقـى بكُـل خزانـةٍ   ترى من رآها وإلـه العقـل مبهوتَـا

وللشاعر قصيدة فيها عشرون خصلة من خصال المريد الصادق في إطار نظم القواعد الصوفية, منها[1]:

فَنَفسك عودها حميدا مـن التُقـى   وعلمٍ وآدابٍ لهـا الزهـد رابـع

وصبرٍ وشكرٍ والتوكـلِ والـسخا   ومع ورع فقرٍ بـه العبـد قَـانع

ومع عزلةٍ ذكـرٍ وسـابق توبـةٍ   وخوفٍ وعيدٍ وهو في العفو طامع

وصدقٍ وإخلاصٍ وحسن اسـتقامةٍ   وكُن راضيا فيما بك الحق صـانع

وخاتمةُ العشرين زيـن خِـصالها   تَواضع فللعبـدِ التواضـع رافـع

فالأبيات تتحدث عن طريق السالك, وهو"السيرة المختصة بالسالكين إلى ا تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"[2] قال الجنيد "لا يبلغ العبد إلى الحقيقة المعرفية وصفاء التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات"[3].

ويبين صعوبة هذا الطريق وإنه يحتاج إلى السرعة وتذليل العقبات, بقوله[4]:

وما سـارها إلا جـواد مـضمر   سـريع مريـد للعلائـق قَـاطع

طَريقٌ لساداتٍ لهم عنـد قَطْعِهـا   وصالٌ لمجموعِ السعادات جـامع

ويبين الشاعر مايجنيه السالك من هذا الطريق, بقوله[5]:

ملوك بجناتِ المعـارف عيـشُهم   هنـى وأنـوار علـيهم سـواطع

وأسرار غيبٍ أودعت في قُلُـوبهم   لهم كل شيءٍ خَاضع ثُـم طَـائع

ويبين في الأبيات الأسرار الإلهية التي سوف يشاهدها من اجتهد في السير في الطريق وهي "فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً,لا علماً فقط"[6] قال الغزالي(ت505هـ)" الوصول هو الرؤية والمشاهدة بسر القلب في الدنيا وبعين

---

(1) اليافعي,نشر المحاسن,ص211.

(2) الجرجاني,التعريفات,ص141.

(3) الطوسي,اللمع في التصوف,ص436.

(4) اليافعي، نشر المحاسن الغالية,ص211.

(5) المرجع نفسه,ص211.

(6) الحسنى,ابن عجينبة,إيقاظ الهمم في شرح الحكم,ص11.

الرأس في الآخرة,فليس معنى الوصول اتصال الذات بالذات تعالى ا عن ذلك علوا كبيرا"[1].

وشاعرنا يشرح الأحوال[2] بقصيدة, منها[3]:

ومن تلك عشر ما تسمع رمز شَرحِها وأصـغ لتنبيـهٍ ولا تـك مـشتُوتا

فَتَوبتهم عـن غفلـةٍ مـا وصـبرهم جهاداً لكي تحيى الفتى يلتقي الموتـا

بحكمِ القضاءِ استسلامهم فـي توكـل سكوناً كما مع غاسلٍ سـكن المـوتى

وللشاعر أبيات كثيرة في مدح الفقر,إذ يعد من مقامات الوصول عند أهل التصوف ,أي المقامات العلياء وهو نتيجة حتمية لمقام الزهد,لأن الزاهد بتخليه عن فضول الحلال قد اختار معانقة الفقر ,وقد قيل في سياق الإجابة عن اختيار الصوفية للفقر"لأنه أول التوحيد"[4] وقال الجنيد (ت279)"علامة الفقر الصادق أن لا يسأل ولا يعارض,وإن عورض سكت"[5], ومن أبياته في مدح الفقر قوله[6]:

فاما بنو الـدنيا ففخـرهم الغِنـى كزهرٍ نَضيرٍ في غدٍ ييبس الزهر

وأما بنو الأخْرى ففي الفَقرِ فَخْرهم نَضارتُه تَزداد مـا بقـى الـدهر

ولليافعي قصيدة في أحوال الجذب أسماها"معالي المسالك في مدح المجذوب والسالك" والجذب عنده أربعة أقسام:الأول سالك بعد جذب,والثاني: مجذوب بعد السلوك,الثالث:مجذوب غير سالك الرابع سالك غير مجذوب ,يقول فيها[7]:

مشوا في طريـقٍ بالعنـا سـالكينها ولمـا يـرعهم حزنُهـا وخَرابهـا

إلى أن بـدت بيـضاً سـلوك نَقيـةٍ وأفْنَى عـداها طَعنَهـا وضِـرابها

فَـسالكُهم بعـد اجتـذابٍ وعكْـسه فَنَى نَفسه بعـد الـسلوكِ اجتـذابها

---

(1) الغزالي,ابو حامد,روضة الطالبين,ص26.

(2) للاستزادة عن أحوال السالك ,انظر عودة,أمين يوسف، تجليات الشعر الصوفي قـراءة في الأحوال والمقامات,ص225.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص94.

(4) الطوسي, اللمع في التصوف, ص75.

(5) المرجع نفسه,ص75.

(6) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص113.

(7) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص501.

هما دون غيـر صـالحان للاقتـداء	بيــين إذا دل الطَريــق صــوابها
ومحمول جذبٍ لا يـدل فَمـا درى	طَريقاً بها القَطْـاع وعـر عقابهـا
ولا سالك مِن بعـد جـذبٍ فيجتلـي	معارف مرخى دون تِلـك حِجابهـا

الجذب"عبارة عن جذب ا تعالى عبداً إلى حضرته,وجذب الأرواح عبـارة عن التوفيق والعناية,من أمثال سمو القلوب,مشاهدة الأسرار,والمناجاة,والمخاطبة,وما يشاكل ذلك مما يبدو على القلوب من أنوار الهداية بما يدل على مقدار قرب العبـد وبعده وصدقه وصفاته في وجده"[1].

واليافعي يفضل المجذوب الذي أنعم ا عليه بالجذب عن الطالب, يقول[2]:

أنا طالب والغيـر مطلـوب أنـا	بها مغرم أريقُ في حبهـا دمـي
معنى بهـا والغَيـر فيهـا مـنعم	وكم بين مشغوفٍ معنـى ونـاعِم
فلا نلتُ ماقد رمتُ مِنهـا ولا أنَـا	مِن التعبِ أو بلوى هواها بِـسالِمِ

يميل ابن خلدون إلى اعتبار المجذوب فاقداً لعقل التكليف ويكاد يلحق بالحمقى والمجانين في سقوط التكاليف الشرعية ويراه أقل مرتبة من عوام المؤمنين فضلاً عن أن يكون من طبقة الأولياء المقربين[3].

لقد فضل الصوفية الاعتزال والخلوة إذ أنه من أعلى المقامات عندهم, فالسالك يسلك عدداً من المقامات حتى يصل إلى أعلاها وهي الخلوة عن الناس, جاء في الرسالة القشيرية"إذا أراد ا أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه ,فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة"[4] وللشاعر أبيات في الحث على الاعتزال, يقول[5]:

فَلازم مكانك حِين تَعتزلُ الـورى	إذِ القلب مجموع وصدرك يـشرح

---

(1) الحنفي,عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية, المقدمة, دار المسيرة,بيروت,1980م،.

(2) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص503.

(3) ابن خلدون,عبد الرحمن بن محمد,شفاء السائل لتهذيب المسائل,بيروت,1959م.

(4) القشيري النيسابوري،عبد الكريم بن هوازن(ت465هـ ـ)الرسـالة القـشيرية,تحقيـق محمود بن الشريف, عبد الحليم محمود,انتشارات بيدار,ايران/ص187.

(5) اليافعي,الإرشاد والتطريز ,ص95.

فَقد قالَ أشياخُ الطريقةِ مـن يجـد   بِخلوتهِ جمعـاً فَـلا قـط يبـرح
وكم عالمٍ قد كان يعتـزلُ الـورى   ويلقى علوماً بعد وقـتٍ ويـشرح

هذه معظم تجليات شعر نظم القواعد الصوفية في شعره, الذي اعتمدت فيه على كتاب نشر المحاسن الغالية الذي يعتبر صورة صادقة عن التصوف في أعلى ذروته عند الشاعر,ولاشك أن شعره قد عبر عن مشاعره, وما يتمثل في وجدانه, وما يستشعره فؤاده من أحوال نفسية وخطرات روحية ومعتقدات صوفية.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

3. 1 بناء القصيدة عند عبد ا بن أسعد اليافعي:

3. 1. 1 المطلع:

"الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره فإنـه أول مـا يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"[1] , لذا فقد حظي مطلع القصيدة بعناية نقاد الشعر العربي القدامى وكانوا يعدونه من محاسن صناعة الـشعر .فقـد كانوا يقولون"أحسنوا معاشر الكتاب الإبتدات فإنهن دلائل البيان"[2] ويرى القرطاجني أنّه الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة منزل الوجه والغرة,تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً,لتلقى ما بعدها إن كان به من ذلك,وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يكن يتناصر الحسن فيما وليها[3] وعلى الـشاعر في مطلع قصيدته"أن يتحرز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ووصف إقفار الديار,وتشتيت الألاف ونعى الـشباب وذم الزمان ,لاسيما في القصائد التي تُضمن المدائح أو التهـاني ,وتُـستعمل هـذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب الحادثة,خشية أن يتطيـر الـسامع منهـا"[4] وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته, فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والمعاني والأسلوب ما يكون

---

(1) ابن رشيق,أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني,(ت456هـ),العمدة في محاسن الـشعر وآدابه ونقده,تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد,بيروت ,ط5 ,1981م , ج1:218.

(2) العسكري,أبو هلال الحسن بن عبد ا بن سهل,(ت395هـ)كتاب الـصناعتين,الكتابـة والشعر,تحقيق مفيد محمد قميحة,دار الكتب العالمية ,ط2 ,1984م , ص431.

(3) القرطاجني,حازم أبو الحسن(ت 684هـ)منهاج البلغاء,وسراج الأدبـاء, تقـديم محمـد الحبيب بن الخواجه,دار الغرب الإسلامي ,بيروت,ط2 ,1981م ,ص 309.

(4) ابن طباطبا,محمد بن أحمد العلوي (ت 322هـ)عيار الشعر ,تحقيق عباس عبد الـستار ,دار الكتب العلمية ,بيروت ,ط1 ,1982م , ص126.

فيه بهاء وتفخيم,وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة(.....) وكذلك سائر المقاصد"[1].

ولابد للمطلع الحسن من الحسن والعذوبة لفظاً,والبراعة والجودة معنى,لأنـه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ,فإذا كانت حاله على الضد مجّه السمع وزجـه القلب ونبت عنه النفس"[2].

أما عن المطلع عند اليافعي من الناحية التطبيقية فكان على النحو التالي:

في تذكر الأماكن المقدسة واعتذاره للبعد عنها , يقول اليافعي في مطلع قصيدته[3]:

من بان عن ربع من يهواه والطلل فقد تَعـرض للتهمـاتِ والعـذل

نجد ألفاظ المطلع سلسة واضحة, وهذا ما نادى به النقاد ,فنجده ينبـه ذهـن السامع بتشويقه ,حيث جعل الشطر الثاني من بيت المطلع إجابة لماذا يحل بـه؟التي تتأتى لذهن القارئ عند قراءة الشطر الأول من المطلع.

ويوضح مقصده في البيت الثاني بقوله[4]:

لما نأيتُ عن الأحبابِ مع وجلـي أضحتْ تَلوم ذواتُ الحجل والحجل

فالشاعر يتعرض للوم من ذوات الخلاخل والحجل وهي كناية عـن النـساء, فالبيت الثاني جاء موضحّا لبيت المطلع.

ومطالع اليافعي في ذكر الديار المقدسة الزاخرة بالنور والهداية وليست ديار الدمن ونؤي الأحجار "ولم نعد نسمع تردد الأماكن التي ذكرها القدماء السابقون لـه كعاقل وحاقل وغيرها,لكننا أَلِفْنَا سماع البان وسلم ولعلع والعقيق وغيرهامن الأماكن المقدسة[5]

---

(1) القرطاجني,منهاج البلغاء ,ص310.

(2) الثعالبي,أبو منصور عبد الملك (ت429هـ)يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر,شـرح مفيد محمد قميحة ,دار الكتب العلمية,بيروت,1983م ج1 :181.

(3) اليافعي ,الإرشاد والتطريز , ص 226.

(4) المرجع نفسه,ص 226.

(5) انظر صالح، مخيمر:المدائح النبوية بين الصرصري والبصيري ,ص 21.

وهاهو اليافعي يستوقف ليشفي غليله بالحديث عن الأماكن المقدسة[1]:

قِفــا حــدّثاني فــالفؤاد عَليــلُ عسى منه يشفى بالحـديثِ عليـلُ
أحاديثُ نجدٍ[2] عللانـي بـِـذكرها فقلبــي إلــى نَجــدٍ أراه يميــلُ

فالشاعر في المطلع يثير انتباه السامع لما بعده من أبيات,إذ المتلقي يتساءل ما هو الحديث الذي سيشفي الشاعر من علته وسقمه,فيأتي البيت الثاني جواباً للتـساؤل المطروح في بيت المطلع.

يستخدم اليافعي في قصائده فنون البديع التي كثرت في الشعر المملوكي وفي أشعار المتصوفة حتى وصلت لدرجة التكلف أحياناً, من ذلك قول ابن الفارض[3]:

تَبيح المنايا إذ تُبـيح لنـا المنـى وذاك رخِـيص منيتـي بمنيتـي

واليافعي يستخدم التجنيس في المطلع(الدار-داروا-دارت)بقوله[4]:

بشراك بشـراك هذا الربع **والـدار** وهم إلى الوصل بعد الهجر قّد **داروا**
ودارتِ الكأس في شربِ الهوى وبها مِن خَمرةِ الحب للعـشاق إسـكار

" كثرة التجنيس عابها النقاد من ذلك ما أخذه الآمدى على أبي تمام

سلم على الربع مِن سلمى بذي سلم عليه وسـم مـن الأيـامِ والقـدمِ

لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ ,وإنما يحسن إذا كان بلفظين"[5].

تتضمن بعض مطالع قصائد اليافعي شكر ا عز وجل علـى كرمـه,وقـد ضمنها الجناس لدرجة التكلف, يقول[6]:

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز ,ص223.

(2) النجد: ما ارتفع من الأرض والجمع نجود,وهي ديار معروفة من ديار العرب مما يلـي العراق في جزيرة العرب,الفيومي، المصباح المنير,ص352.

(3) امين,بكري شيخ مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ,دار العلـم ,بيـروت ,ط14, 2007م ,ص 242.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص220.

(5) الموازنة ص394,نقلاً عن يوسف بكار ,بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضـوء النقد الحديث,دار الأندلس ,بيروت ,ط2, 1982م ص209.

(6) اليافعي ,الإرشاد والتطريز,ص 279.

تَبارك من **شُكر** الورى عنه يقصر   لكون أيادي جودِهِ ليس تُحصر
وشَاكرها يحتاج **شُكراً لشُكرها**   كذلك **شُكر الشكر** يحتاج **يشكر**

والشاعر يذكرنا بالخمريات في المطلع ,ولكنها ليست خمرة دنيوية إنما هي خمرة الحب الإلهي,يقول [1]:

سلام على قومٍ شُموس الهدى غدا   يهم في الهوى سكْرٍ إلى حشرهم غدا
أدار عليهم كأس راح محبّة   جمالٌ سقى الأحبابِ لما لهم بدا

وتتضمن مطالع بعض قصائده مدح الرسول صلى عليه وسلم والفخر به حيث أنه خير مبعوث ,وأشرف المرسلين, ونجد اليافعي كعادته يكثر من استخدام الجناس, يقول[2]:

لنا **مفخر** فَاقَ **المفاخر** كلها   وأصبح **مفخوراً** به كل **فَاخَر**

ويفتتح مطالعه بالصلاة على النبي[3]:

صلاةٌ وتَسليم يفُوح شَذَاهما   على سيدِ الكونين مِن آل هاشم

ويستخدم اليافعي في مطالعه التشبيه التام ,شبه نفس الإنسان بالناقة التي تسير على ما تعود, يقول[4] :

نفوس البرايا كالمطايا[5] يقودها   إذا عودت في كل شيءٍ تُطاوع

وفي البيت الذي يليه يستخدم فعل الأمر للتأكيد

فنَفْسِك **عودها** حميداً مِن التقى   وعلمٍ وآدابٍ لها الزهد رابع

ويكثر اليافعي من استخدام فعل الأمر في المطلع إذا كان الغرض من القصيد الوعظ والإرشاد[6].

---

(1) اليافعي, نشر المحاسن الغالية، ص 283.

(2) المرجع نفسه, ص124.

(3) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج1/ 34.

(4) اليافعي, نشر المحاسن الغالية، ص211.

(5) المطا الظهر ومنه قيل للبعير مطية ويجمع على مطايا, الفيومي،المصباح المنير, ص342.

(6) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص 212.

تَعّود فعل الخير مع كـلّ فاعـلٍ   بتبـــديل طبــعٍ للتبـــدل قائـــل

ويكثر من الحث على العلم في مطالع قصائده,فهو يستخدم المقابلة لِتبيان فضله[1]:

ففي العلمِ مصباح وفي الجهل ظلمةٌ   تكون خِـلافَ الاهتـداءِ وفَـضائل

ويستخدم السجع (المراهم-الدراهم)والاستعارة(العلم والتقوى غوالي المـراهم) لبيان فضل العلم في مطلعه[2]:

مِن العِلمِ والتقوى غَوالي **المـراهم**   فبالدر لا تُـشرى ولا **بالـدراهمِ**

وفي مجال الرثاء يحشد مجموعة من الاستعارات في المطلع لبيـان حزنـه والألم الذي حل به,فجعل الدهر يبكي وقد كان مبتسماً,وجعل له إظلاماً بعـد نـور الوجه, يقول[3]:

بكى دهرنا والدهر مِن قبل **باسـم**   على **وجههِ نور** واليـوم **إظـلام**

ويجعل في مطلعه القتل في الحب ليس له عوض سوى رؤية المحبوب ا عز وجل ,في مذهب أهل التصوف, يقول[4]:

قَتيلُ الهوى في مذهبِ الحـب والفَـقْر   بلا عوضٍ حاشَاه من طَلَبِ الأجـر

سوى رؤية المحبوب فـي سـاعةِ اللقـا   إذا ما قتيل السيفِ عوض بالحـشر

وتبدو مطالع اليافعي مصّرعة حيناً, وغير مصرعة حيناً آخر ويبدو التصريع الذي يعده ابن رشيق دليلاً على قوة الطبع, وكثرة المادة ويترك طلاوة في النفس [5] بارزاً في بعض قصائد الشاعر من مثل قوله: [6]

يامسرعاً نَحـو الحِـسان لتَخطُبـا   تـأن واخْتـر مـورداً مـستعذبا

ويقول: [1]

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان ج3 : 255.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز 48.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية ,ص 376.

(4) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج4 :61.

(5) ابن رشيق,العمدة,ج174/1.

(6) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج349/1.

عرضنا على المولى ونحن عبيـد فمنـــا شقـــى رده وســـعيد

ويقول في الحاوي [2] :

ماذا حوى الحاوي مع الـصغر من الملاح العوالي الخُردِ الغـرر

أما التجميع الذي يخالف ظن النفس بالقافية [3] , فيبرز في قصائده القـصيرة, ومقطوعاته, ونتفه, كقوله [4]:

إذا رمتْ إكسير الهدى قالبـأ يـهِ نحاس ظلالٍ جوهرٍ خُذه منعوتـا

ومن قوله : [5]

الا يــادار خُلـــدٍ طِبـــتِ داراً جمعتِ الحسن مـأمون الـزوال

إن تجميع الشاعر ليس دليلاً على ضعف طبعه,وقلة مادته وهو الحكم الـذي أصدره ابن رشيق مفضلاً التصريع على التجميع[6], وتجميع الشاعريرجع لغـزارة شعره وطول قصائده,ويرجع كذلك لارتجاله في النظم,واهتمامه بالفكرة أكثـر مـن الصياغة ,ولضياع مطالع بعض قصائد الشاعر.

2.1.3 المقدمة:

تُعد المقدمة القسم الثاني من هيكل القـصيدة, وتـشغل المـساحة المكانيـة المحصورة بين المطلع حتى المخاص في بناء القصيدة,وهي مع أهميتها كحيز مكاني في بناء القصيدة إلا أن نقاد العرب القدماء[7] لم يعنوا بذكر شروطها أو حتى ذكرها

---

(1) اليافعي ,روض الرياحين ص75.

(2) اليافعي,مرآة الجنان,ج126/4.

(3) القرطاجني, منهاج البلغاء,ص282.

(4) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص87.

(5) اليافعي,روض الرياحين,233.

(6) ابن رشيق,العمدة,ج1, 174.

(7) القيرواني,ابن رشيق,العمـدة فـي محاسـن الـشعر :ج1: 217 -240, الجرجـاني القاضي,علي عبد العزيز (ت 392هـ),الوساطة بين المتنبي وخصومه,تحقيق محمد أبو الفـضل إبـراهيم وعلـي محمـد البجـاوي,دار إحيـاء الكتـب والقـاهرة ,ط3

في بناء القصيدة ,منهم ابن رشيق الذي اقتصر بنائية القصيدة على ثلاثة أقسام هـي المبدأ,والخروج,والخاتمة[1] والقاضي الجرجاني الذي عد الشاعر الحاذق هـو الـذي يجتهد في تحسين الاستهلال والتخاص وبعدها الخاتمة[2] وأغفلها حازم القرطـاجني وهو يشرح أحكام المباني وتحسين هيئاتها[3] ولعل إغفالهم ذكرها كان الاكتفاء منهم بما أشار إليه ابن قتيبة في منهج قصيدة العرب في مقولته المشهورة"وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ بذكر الديار والزمن والآثار, فبكـى وشـكا وخاطب الربع, واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين منها,إذا نازلة العمد والحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم مـن مـاء إلـى ماء,وانتجاعهم الكلأ....ثم وصل ذلك إلى النسيب[4] وذلك لأن المقدمة تستوعب ذكر الديار والدمن والبكاء ومخاطبة الربع واستيقاف الرفيق وغيرها ممـا يعـتلج فـي صدور الشعراء من ذكريات وأشجان, فاكتفوا بذكر شروط المطلع الحـسن وهـي الشروط التي يستحسنها المتلقي وهي تمهد خلسة للخروج من حيـز المقدمـة إلـى الغرض الرئيس.

بعد إلقاء الضوء على المقدمة,سأبدأ بدراسة المقدمة في قصائد اليافعي.

لقد احتوت بعض مقدمات قصائده شكوى الغرام,وشدة الوجد ,ولكن بالرسول والديار المقدسة,وهذا ليس غريباً على الشاعر الصوفي, يقول[5]:

يجئ بهِ مِن نَحرها عذب منطـقٍ	يفوح بهِ من ريحها فَـائقُ النَـشر
يخبر عن سلمى وعن ذلك الحِمى	وقَول لسان الحال في نَظمِهِ الـدر

,ص48,القرطاجني، مناهج البلغاء ,ص303, الحاتمي، محمد، حليـة المحاضـرة فـي صناعة الشعر,ج1: 217.

(1) ابن رشيق:العمدة ج1: 217-240.

(2) الجرجاني, الوساطة بين المتنبي وخصومه,ص48.

(3) القرطاجني، منهاج البلغاء ص303.

(4) ابن قتيبة,عبد ا بن مسلم (ت276هـ)الشعر والشعراء,تحقيق أحمد محمد شـاكر,دار المعارف,(د.م)1967م,جـ1,ص74-75.

(5) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص4.

رعى ا ُ عهدا مر مع جيرةِ الحمى يباهي رياضاً نَاظراتٍ بـه زهـر

ويقدم اليافعي لقصيدته في مدح الرسول صلى ا عليه وسلم,بأبيـات شـوق للأماكن المقدسة, ويستخدم الاستعارة ,والتجنيس ,والتشبية[1]:

هل رمت خِلا بديلاً أو هجرت حمى بدر أضاء الدياجي عِنْـدما ابتَـسما

سما ِبنورِ بهـا فَـوق بـدر **سـما** فقلت حاشا ولكن **كي أعـود كمـا**

يعود عطشان بعد النهل للعلل

لرؤيةٍ بعد أخرى حـسن نـورِ خَبـا من صار للحسن والإحـسان منتخبـا

أعود أروي **صدى الأشْواق** منتحبـاً وأغفر الخَـد إن لاحـت قِبـاب قُبـا

أسقي الرّبى دمعي المطلول في الطلل

واليافعي في وقوفه لتذكر الديار المقدسة يختلف عن وقفة الشعراء الجاهليين على الأطلال,وذلك لشدة إيمانه با عز وجل وزيارة الأماكن المقدسة أحد أركان الإسلام الخمسة لمن استطاع إليه سبيلاً,بينما الشاعر الجاهلي الذي تحدث عنه ابن قتيبة "لم يكن يؤمن بإله ولا جنة ولا ثواب,وقد أحس حقيقة الفناء,وحتمية الموت إحساساً يختلف عن إحساسنا نحن اليوم بل يختلف عن إحساس العرب بعد أن اسلموا كما تقول الدكتورة سهير القلماوي"[2] والأماكن المقدسة تعتبر نور الحق وراحة القلب وجلاء الهمّ وليست "كوقفة الشاعر الجاهلي على الأطلال التي فسرها بعض الباحثين بأنها صرخة متمردة بائسة أمام حقيقة الموت والفناء"[3] فإن اليافعي اختلف عن منهجه في القصد والغاية,لأن الوقوف على الديار المقدسة يقربه من منهج النور الذي يستجليهِ روحه,وهاهو في تشوقه يستخدم الاستعارة والمقابلة, يقول[4]:

إذا لعـع البـرقُ الحجـازي بلعلـعٍ تأجج **نيران الجوى** بـين أَضـلُعي

وإن حملت نَشْر الخزامى مِن الحمـى **نسيم الصبا** صبت سواجم أدمعـي

وإن **غَنتِ الورقاء** في الأيك أو **بكـت** شَجتني وشَاقتني إلى خيـر مربـعِ

---

(1) اليافعي , الإرشاد والتطريز,ص227.

(2) بكار, بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ,ص218.

(3) المرجع نفسه:ص218.

(4) اليافعي, روض الرياحين في حكايات الصالحين, ص 516.

وأغـرتْ غَرامِـي بالأحبـةِ حيثُمـا　　　أقاموا وهاجـت لـوعتِي وتَـولعِي

تُــذكرني جِيــران ســلع ورامــة　　　وحيفُ منى والمنحنـى والأجيـرع

ويفتتح قصيدة بحسرته على تخلفه عن الركب ,حيـث يـستخدم الاسـتعارة والكناية, يقول[1]:

تَخَلّفتْ يوم البـين عـنْهم بِجثتـي　　　**وراحوا بقلبي** يوم بـانُوا أحبتـي

ونَاديتُ والركب اليمـاني راحـلٌ　　　وعِندي **مقيم في الحشا حر لوعتِي**

خَليلي سـيرا بلغـا لـي تَحيتـي　　　إلى عِند سـكان الربـوع الهنيـةِ

إذا جئتُما حلي ابن يعقوب بِمنـى　　　قليلاً إلى حيثُ الـسعاداتُ حلّـتِ

وبثا غرامِي في الربـوع وقـبلا　　　رباها وصبا دمعـة بعـد دمعـةٍ

وفي تذكار الديار المقدسة, يقول[2]:

ونَـــاعم فاقــدٍ إلفــاً يــذكرنا　　　نجداً واحداً وسـلعاً والـصفا ومنـى

ومن بها حل والعيش الذي انـصرمتْ　　　والليـالي التـي فِيهـا بلـوغ منـى

وســادة كانــت الأيــام زاهــرة　　　بالنور واليمن فـيهم زينـوا اليمنـا

ويقدم اليافعي بذكر الحقيقة "ورمز الوجود المطلق[3]"الذي يكنى عنهما بسعدى ,والعامرية, يقول[4]:

يِتذكار سعدى أسعِداني فَليس لـي　　　إلى الصبر عنْها والـسلو سـبيلُ

ولا تَذْكُروا لـي العامريـة إنهـا　　　يولــه قلبــي ذِكرهــا ويزيــلُ

ولكِن بِذكرى عرضا عنهـا,فـإن　　　تَقل كيف هو؟ قولوا قَذاك عليـلُ

ويذكرنا اليافعي بالمقدمات الخمرية ,ولكنها خمرة من نوع آخر ,خمرة الحب الإلهي .ويستخدم اليافعي التكرار لتأكيد البشارة[5]:

بشراك بشراك هذا الربـع والـدار　　　وهم إلى الوصل بعد الهجر قَد داروا

---

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقضان ج4:235.

(2) المرجع نفسه.ج3:188.

(3) سلام, الأدب في العصر المملوكي, ص253.

(4) اليافعي,نشر المحاسن,ص60.

(5) اليافعي ,الإرشاد والتطريز,ص220.

ودارتِ الكأس في شربِ الهوى وبها مِن خمرةِ الحب للعشاق إسكار

ويتغزل اليافعي في مقدمات أبياته ,وهاهو يحلي أبياته باستخدام التشبيه والاستعارة[1]:

بخودٍ لها شَعر إذا هي أرسلتْ كسا البدر **جعد كالظلام** رجيلُ

وأنفٌ **وثغر كالقضيب** وخاتم به الشهد والوجه الأغر صقيل

وصوتُ ربابٍ ثم عين المها لها وجيد غَزالٍ كاللجين طويلُ

وخصر دقيقٌ غصن بانٍ شبيهها وساقٌ صقيلٌ كالرخامِ جليلُ

وللشاعر غزل في قصائدِه ولكن من نوع آخر ,فهو لا يتغزل بالمرأة ولكن بنظمه ومعاني أبياته[2]:

وبعد فهذي درةُ الحسن أقبلتْ بها ما استحقّت أجلّه الحب تُمنح

كستْها المعاني أخضر اللون سندساً وأصفر دِيباجا وأحمر يملح

معانٍ عوالٍ في الثريا محلها غوالٍ لها بالشعر أصبحتُ أمدح

تغزلتُ في بعضِ المعاني وبعضها أشارت بتركٍ قلتُ ما فيه أسمح

وفي بعض قصائده يتخلص من المقدمة فلا يذكر دياراً ولا آثاراً,ولا يستوقف أحداً,فهو في مدحه يدخل مباشراً بالغرض الأساسي الذي أوجد القصيدة من أجله, وهو مدح الرسول صلى ا عليه وسلم ,وقد أثقل أبياته بالجناس واستخدم الاستعارة والكنايات, يقول[3]:

لنا **مفخر** فَاقَ **المفاخر** كلها وأصبح **مفخوراً** بِهِ كُل **فَاخر**

لنا **بدر حسنٍ** قد سبى الخلقَ كلهم وهاموا بِهِ مابين **بادٍ وحاضر**

أنَارت بِهِ الآفاقَ **شرقاً ومغرباً** ونَحى **ظلام الظُلمِ داجِي الدياجر**

سراج الهدى الماحي **بأنوار وجهِهِ** ظلام الطغا **بدر البدور** الزواهر

مبيد العِدا الطاغين مِن كل ملةٍ **هزبر** الوغى **ليثُ الليوثُ** الخَوادِر

مليح الحِلى **زين الوجودِ** محمد طراز جمال الكون **تاج المفاخر**

---

[1] اليافعي ,الإرشاد والتطريز ، ص223.

[2] المرجع نفسه,ص 151.

[3] اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص 124.

ويتخلص من المقدمات ,ويدخل بالغرض الرئيس عند حديثه عـن المقامـات الصوفية[1]:

إذا رمت **إكْسير الهدى** قالبـاً بـهِ ... **نَحاس ضلال** جوهرٍ خُذه منْعوتَـا

عقاقير مِن فَقْـرٍ وزهـدٍ وتَوبـةٍ ... ومع **ورع صبرٍ** يكن مـرةً قُوتَـا

فَضعها معاً في **بوطةِ الصدق** وقِداً ... **بنارِ الشجى** تَأتيـك دراً وياقُوتـاً

وهو في حديثه عن المقامات يقـدم ببيتـين لبيـان فـضلهما ,ويـستخدم التكـرار والاستعارة[2],

جـواهر تَلقيهـا بـساحل حكمـةٍ ... **بحار علوم** فـي قلـوبِ عـوالِمِ

ببحرٍ مِن الأسرارِ لـيس **يغوصـه** ... سوى عارفٌ با ِ **بالغَوص** عـالِمِ

فإِن **غاص** فيه غيره فهو عاطـب ... بموجِ قـضاءٍ فيـه ذاتُ تلاطـم

يغوص فيبدي مِنْـه **در معـارفٍ** ... يداوي بها من داءِ طبـعِ مـلازمِ

ويقدم اليافعي لأبياته الوعظية ,ذم الدنيا بالصور البلاغية فالـدنيا عجـوز – ورأس الخطايا- ذات مكر – واختيان ,وعن زيفها يكني بقوله(إلى تقبيل ثغر لـيس فيه من الأسنان ما غير اللسان) [3].

عجوز السؤ **سودا الجسمِ** شَـوها ... **وحـدبا** تَحـتَ **أثـوابٍ حِـسان**

بِها **يغتر غـر** لـم يـشـ ـ ـاهد ... عيوبـاً فـي هواهـا ذو افْتتـان

إلـى تَقبيـل ثَغـرٍ لـيس فِيـه ... مِن الأسـنان مـا غَيـر اللّـسان

غَـ ـرور حبهـ ـا **رأس الخطايـ ـا** ... جميعـ ـا **ذاتُ مكـ ـرٍ واخـ ـتيان**

ولليافعي مقدمات في شكر ا وتسبيحه, منها[4]:

فَسبحان من لاقـط يبلـغُ مدحـه ... بليغٌ ومن عنه الثـ ـ ـنا متعـذِّر

ففي العقل فَضلاً عن جميل صِفاتِهِ ... وعن ذاتِـهِ كُـل البرايـا تحيـر

تُسبحه الحيتان في المآ وفي الفـلا ... وحوشٌ وطير في الهواءِ مـسخر

---

(1) اليافعي,نشر المحاسن الغالية, ص93.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز:ص48.

(3) المرجع نفسه:ص 57.

(4) المرجع نفسه,ص 279.

3.1.3التخاص:

يعد التخاص ركناً من أركان القصيدة المتعددة الأغراض ,وهو جسر الربط بين أغراضها, وهو الخروج من غرض إلى غرض آخر في القصيدة بحيث يشعر المتلقي بالتحام الأغراض وتماسكها حتى يخال أن الأغراض أفرغت في قالب واحد لسهولة مخلصه ودقة معناه وهذا هو حسن التخاص"وإن لم يكن خروج الشاعر متصلاً بما قبله سمي طفراً وانقطاعاً[1].

"وطريقة التخاص ينحى بها أبدا نحوان ,نحو يتدرج فيه إلى ما يريد التخاص إليه ,وينتقل بتلاطف إليه مما يناسبه ويكون منه بسبب,ونحو لا يكون التخاص منه بتدرج وانتقال من الشيء إلى ما يناسبه ويشبهه,لكن بالتفات الخاطر حيزاً من حيز وملاحظته طرفاً من طرف, فيعطف إلى ما يريد التخاص إليه بما يكون مناقضا له أو مخالفاً من غير مقدمة[2], وكانت العرب في أكثر أشعارها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها , والوجد بفراق ساكنيها ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى قالت "فدع ذا وسل الهم عنه"[3] والتخاص عند ضياء الدين بن الأثير" هو أن يأخذ الكلام في معنى من المعاني , فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول سبباً له فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ أفراغاً وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه"[4].

أما عن التخاص عند اليافعي فسوف أوضحه من خـلال عرضـي لـبعض قصائده.

فالشاعر في قصيدته(الرياض في الوعظ والاتعـاظ وفـي بيـان حـدود الأسـنان والعراض)التي عارض بها أبيات محمد بن عبد الملك الأيادي الأندلسي الأشبيلي,في

---

(1) ابن رشيق,العمدة في محاسن الشعر ج1:239.

(2) القرطاجني, منهاج البلغاء:319.

(3) العسكري, كتاب الصناعتين, ص:513.

(4) ابن الأثير,ضياء الدين محمد بن محمد(ت611هـ)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ,تقديم أحمد الحوفي,وبدوي طبانة,دار النهضة,قسم 3 : 121.

ذم الشيب,يقول[1].

إنني نظرتُ إلى المرآةِ إذ جليت فأنْكرت مقلتاي[2] كل ما رأتا

رأيتُ فيها شويخا لستُ أعرفه وكنتُ أعهده من قبل ذاك فتى

بدأ الشاعر ببيتين يتذكر فيها الديار المقدسة(نجداً- سلعاً- والصفا- ومِنى) [3].

ونَاعم قَاقدٍ إلفاً يذكرنا نَجداً وأحداً وسلعاً والصفا ومِنى

ومن بها حلّ والعيش الذي انصرمت والليالي التي فيها بلوغ منى

الشاعر يوظف(إن) ليتدرج للغرض الأساسي وهو مدح الشيب[4].

إن قُلت قُي فضل ساداتٍ لنا سلفوا فقولُ حسان في الأسلافِ قد حسنا

لكنني في مديحي قد عمّمت به شيوخ إسلامي لم أخَصص أحبتنَا

من كان في شرق أرضٍ أو بمغربها والشامِ واليمن الحاوي لمحتدنا

بعد ذلك يتخلص للغرض الأساسي ,مدح الشيب فجعل التقديم بمدح الشيوخ سبباً لمدح الشيب ,لاجتماع نور الوقار والعقل والحكمة في الشيوخ الذين شبت رؤوسهم بالشيب ,وهو يوظف حرف العطف (الواو) [5].

ومدح شيبٍ أتت في الشرع مدحته معارضاً من له بالذم أفْهمنَا

وفي قصيدته (الراح المختوم والدر المنظوم في مدح المشايخ أصحاب السر المكتوم وذم الطاعنين فيهم من جميع الخصوم) يفتتح قصيدته بذكر حمى سلمى,وعدم قدرته عن التسلي ببعدها, يقول[6]:

سلا عن حِمى سلمى وعن أهلِ الغرّ عسى خبر يلقَاكما طَيب الذِكر

---

(1) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج3:187.

(2) المقلة شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها ومقلته نظرت إليه, الفيومي، المصباح, ص343.

(3) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج3:188.

(4) المرجع نفسه,ج3:188.

(5) المرجع نفسه,ج3:188.

(6) اليافعي, نشر المحاسن الغالية,ص4.

ويذكر السكر الصوفي, والكرامات ولأنه في معـرض مـدح للـسادات وذم للمنكرين لكراماتهم[1]:

خَليلي ما سلمى ونَجد ومـا الحمـى   وما راحها ما كأسها ما الهوى العذري
شَربنا حميا الحبّ في قُدس حـضرة   وأكرم بها في حضرةِ القدس مِن خَمـر

ويتخلص إلى الذم بالمنكرين بعد أن مهد بأبيات يذكر فيها كراماتهم[2]:

وكـم يـدفع ا البلايـا بـسادةٍ   عن الخَلق في كشفِ الشدائدِ والضر
فمن لم بذا يؤمن فقُولـوا لـه إذا   تجرا على الغُـرّ المـشَايخ بـالنُكر
تَجلى فُضولا في فَـضائل سـادةٍ   لهم في سما مجدِ المفاخِر كم قَـصر

فاستخدم الشاعر أداة الجزم ,واسم الإشارة ,والفعل المضارع (فمن لـم بـذا يؤمن) ليجعل البيت سبباً ومقروناً بما قبله, وقرن البيت بما بعده بفعل(القـول).أي من لم يؤمن بالكرامات التي أظهرتها بالأبيات الشعرية السابقة قـولا لـه الأبيـات اللاحقة ,وهي أبيات الذم للمنكرين.

والشاعر في قصيدة يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد القادر الجيلاني,يفتتح القصيدة بأبيات من الرثاء مكونة من اثني عشر بيتاً, منها[3]:

دعا ذِكر هامِي دمع طرفٍ مـسهدِ   بِتـذكار أطْـلال لمـى ومعهـدِ
وبثاغر أما من حشى مودع الشجى   غريم الجوى من لوعةِ الحب موقدِ
لفُرقة أحبـابٍ لنـا قطعـت بِهـم   مطايا المنايـا فَدفَـدا بعـد فَدفَـدِ

إلى أن يصل إلى قوله[4]:

تَرى الدود في تِلك الخُدودِ ومقلـةٍ   تسيلُ على الخدِ الأسـيل المـورد
وقد زالَ عنها ما زهاهـا وزانَهـا   وما طال فيها مِن **تغَـزل** منـشدِ

---

(1) اليافعي, نشر المحاسن الغالية, ص4.

(2) المرجع نفسه,ص 4.

(3) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج4 /245.

(4) المرجع نفسه,ج245/4.

إن هذه الخدود والمقلة الجميلة التي كانت مدعاة للتغزل قد كساها الدود عقب الموت,والشاعر يتخاص من أبيات الرثاء لأبيات الغزل باستخدام الفعـل ومـصدره (تغَزل-تغزل) (1).

تَغَـزل ,ولكـن لا بإفـكٍ وباطـلِ وأنْـشد ولا تَـسمع مـلام مفنـدِ
حمامةُ أيكٍ في الحمى غردتْ ضحى وأنـشد ولا تَـسمع مـلام مفنـدِ

وتستمر أبيات الغزل إلى أن يصل الشاعر للبيت الثاني والعشرين ,إذ يتخاص إلى معرض المدح ببيتين(2).

خليلـي مـا ريـم عـدت وحمامـة شَدتْ مابِهِ موهـتْ لـيس بِمقـصدِ
ولكـن **أكنـى عـن مليحـي حماهمـا** وعصرهما بـدري ديـاجٍ لمهتـدِ
جمالُ الهدى البصال شـيخي وسـيدي إمـام الأنـامِ الزاهـدِ المتعبـدِ

فجعل الغزل السابق إنما هو كنايه عن (مليحي حماهما) ويشرع بعـد ذلـك بأبيات المدح.

والشاعر في قصيدة قصد منها مدح حور الجنة المليحات,التي افتتحها بقوله(3):

إلى كم إلى ليلى ونُعمـان والنقـا وبيضِ العوالي لا تَـزالُ مـشَوقا

يتخاص باستخدام فعل الأمر"دع",وبعد ذلك يشرع بمدح الحور حيث أن الفنـا ليس من صفاتهم(4):

دع القولَ في فانٍ وقُلْ في مـشوقٍ إلى جنةِ الفردوسِ والحورِ والبقـا
ولقيـا حِـسانٍ ناعمـات مـنعم بهن سعيد سـعد ذلـك مـن لقـا

والشاعر في قصيدة (الدرة الفصيحة في الوعظ والنصيحة) يـستخدم فعلـين الأمر (دع-قم)للتخاص من المدح إلى أبيات الوعظ(5):

فقالتْ **دع** التطويـلَ كـم ذا تغـزلاً وكم فـي مِلاحـاتِ المـلاحِ تُـرنّح

---

(1) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج3 /245.
(2) المرجع نفسه,ج246/4.
(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص252.
(4) المرجع نفسه,252.
(5) المرجع نفسه,ص151.

قم إنهض إلى النصح الذي قد وعدته وشَـــمر فَفيـــهِ للتجـــارةِ مـــربح

اليافعي هنا يستخدم الاستطراد الذي يستخدم بـ((دع ذا)) "وهو أن يأخذ المتكلم في معنى من المعاني,فبينما هو فيه يأخُذُه في معنى آخر, وقد جعل الأول سبباً إليه"[1].

والشاعر يستخدم التدرج ليحسن التخاص, يقول الحموي:"حسن التخاص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى آخر يتعلق بممدوحه بتخاص سهل يختلسه اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني"[2] فهو في قصيدته شهد الشفاء في مدح المصطفى صلى ا عليه وسلم يفتتح أبياته الشعرية بغزل للأماكن المقدسة بلغ تسعة وعشرين بيتاً,ثُم يوظف فعل (يقولون)ليتدرج للخروج من الغزل إلى المديح, يقول[3]:

يقولون يهواها ويهـذي بِـذكرها فتـى يـافع أصـلٌ لـه وقبيـلُ

قلاهم وولاهـا يِهجـرِ وهِجـرة سـباه جمـالٌ عنـدها وجميـلُ

وقالوا عزيزاً كـان بـين قبيلـةٍ حمـاةٍ بأيـديها الكمـي صـقيلُ

وها هو قد أمـسى غَريبـاً ببلـدةٍ ولـيس بِهـا حـامٍ لـه وحميـلُ

والشاعر في بيت التخاص يوظف الفعل(قلت)والكناية(غوث الورى حام الذمار) كناية عن الرسول صلى ا عليه وسلم ,ويشرع بعد ذلك بأبيات المدح[4]:

فقلتُ لهـم حاشـا وكـلا وإننـي **لغوثُ الورى حامِ الـذمار** نزيـلُ

مقر الندى مفني العِدا علم الهـدى جلاء الصّدى مجلي الردى ومزيلُ

في قصيدته(ترياق العشاق في مدح حبيب الخلق والخلاق صـلى ا عليـه وعلى آله وصحبه وسلم,إلى يوم التلاق) يفتتح أبياته بالشوق والوله للأماكن المقدسة وليحسن التخاص يربط الأبيات برابط لفظي ومعنوي فهو يحن للأماكن المقدسـة,

---

(1) العسكري، كتاب الصناعتين 394,القيرواني، العمدة 236:1 نقلا عن, بكار بناء القصيدة ,ص227.

(2) بكار, بناء القصيدة, ص222.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص224.

(4) المرجع نفسه,ص225.

وهي حاضرة بقلبه حتى وإن بعد جسده, فبعد أن ذكر شوقه وحزنه لبعده عنها,يتوجه بالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم الغائب عنه الحاضر بقلبه,ليشكو له مـرارة بعده عن الديار مستخدماً أداة النصب((إن)) وأداة النداء ((يا)),يقول[1]:

إن عن حمى ربعِك العالي الأهيل يبن ... جِسمي فقلبي إليه عنـد ذاك يحـن

يا أكرم الخلق يا حامي الذمار لـئن ... عن صدقِ هذا له استنطقْ فـذاك يبن

جِسمي نأي القلب عن حبّي حماك سلى

فهو بعدما ربط الأبيات برابط معنوي وهو اجتماع محبة الأمـاكن المقدسـة ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم بقلبه,وربطه الأبيات بأن وأداة النـداء وكـاف الخطاب يشرع في المدح.

4.1.3 الخاتمة(المقطع)

لم تكن عناية بعض النقاد القدامى بخاتمة القصيدة أقل من عنايتهم بمطلعها فمنهم من عدها قفلاً وعدّ مطلع القصيدة مفتاحاً لها[2] وعدّ المقطع قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع ولابد أن يكون محكماً,لا يتمكن من الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه"[3] والإساءة في المقطع معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس,ولا شيء أقبح من كدر بعد صفو وترميد بعد إنضاج"[4] واستحسن العسكري أن ينتهي المقطع بحكمه وأن يكون آخر بيت أجودها[5], "واشترط النقاد في الخاتمة شروطاً منها, مناسبة الخاتمة لغرضها واستعذبوا اللفظ وجزالة التأليف, وأن يكون المقطع أجود بيت في القصيدة ,متضمنا حكمة أو مثلاً سائراً وأن يكون تشبيهاً حسناً"[6].

---

(1) اليافعي, الإرشاد والتطريز، ص 229.

(2) ابن رشيق(ت456هـ)العمدة في محاسن الشعر، ص239.

(3) المرجع نفسه ج1, 239.

(4) القرطاجني, منهاج البلغاء, ص285.

(5) العسكري, كتاب الصناعتين, ص501-504.

(6) بكار, ,بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث, ص230-229.

الخاتمة عند اليافعي:

اليافعي سلك نظاماً واحداً في ختم قصائده ,يبدأ ختم أبياته الـشعرية ,بمـدح أبياته وذكر عددها وتوضيح سبب نظمها يقول في قصيدته الدرر[1]:

فَهذى قَصيدي شمس إيمانٍ اسـمها   موحدةٌ عما سوى الحـق تزجـر

مشوّقةٌ نَحـو الجِنـان وحورهـا   مخوفـةُ النِيـران عنهـا تُنفـر

وواعظةُ الإخوان من كـل مـسلمٍ   لهم في التقى والدين نُصحاً تـذكر

فخلع على قصيدته جميع الخصائص الإنسانية من قبيـل الاسـتعارة فهـذه القصيدة موحده   عز وجل ,وتزجر عما سوى الحق, وهي مشتاقة للجنان,تخـوف من النيران ,وتعِض وتنصح,ويبين عدد أبياتها بقوله[2]:

وقَت مئةً أبياتُهـا حـين جملـت   وخمـسين وا   الكـريم الميـسّر

بعد ذلك يدعو لنفسه[3]:

سألتُ الذي عم الوجـود بجـودهِ   ومن منه فيض الفضل للخَلق يغمر

يمـن بخلعـاتِ القبـول مزينـاً   لها وجزيلُ الأجرِ والنفـع يثمـر

ويدعو للمسلمين[4]:

وأحبابنـا والمـسلمين جمـيعهم   ولا يا كريم العفو بالكُـل تَمكُـر

ويصلي على الرسول صلى ا   عليه وسلم[5]:

وصل على الهادي النبـي وآلـهِ   وأصحابه مـالاح بـالأفق نيـر

صلاة تباري المسك عرفا مـسلماً   سلاماً لأ كنافِ الوجـودِ يعطـر

ويختم أبياته الشعرية بحمد ا   عز وجل[6]:

وتمتْ وفَـاح الحمـد ـِ ختمهـا   شذاً دونه في العزّ مِسك وعنبـر

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص285.

(2) المرجع نفسه, ص285.

(3) المرجع نفسه,ص 285.

(4) المرجع نفسه,ص 285.

(5) المرجع نفسه,ص285.

(6) المرجع نفسه,ص285.

وفي قصيدته المسماة مهجة الأشجان يختم بنفس الأسلوب السابق,حيثُ جعل قصيدته تخجل وتُرخي على وجهها الميمون برقعاً لتقصيرها من قبيـل الاسـتعارة, يقول[1]:

فَها هي للتقصير أرخَتْ من الحيـا على وجهها الميمون زهى برقـع

ولـ فّ وشـ ر مـ ستعير موشـ ح مدائح تطريز الطبـاق المرجـع

ثُم يذكر عدد أبياتها[2]:

وفتْ مئةً أبياتها الزهـ ر ضـ منها لذا الحبّ كم ساج لعينَيـهِ مـ دمع

بعد ذلك يدعو ا عز وجل له ولقصيدته بِحسنِ النفع والقبول[3]:

فياربّ أصلحنَا وزيـ ن قـ صِيدتِي بحسن قبول واغْفِر الذنب وانفـع

ويختم بحمد ا وطلب غفرانه[4]:

وتَمّت وحمد ا ِ مِـ سك خِتامهـ ا وغفرانَك اللهم يا خير من دعِـ ي

ونجد في قصيدته (الراح المختوم والدر المنظوم في مدح المـ شايخ) يخـ تم قصيدته بالأسلوب السابق مع مفارقات بسيطة حيث يصل على النبي صلى ا عليه وسلم[5]:

وصلي على بدر الهدى معدن الندا محمد الممدوح أعلى ذَوي الفَخْـ ر

ويسلم على السادات[6]:

سلام علـ يكم لا بـ رحتم بِـ ربعكم يهب نسيم القُرب بالطيبِ والنـ شر

وجعل قصيدته تثني عليهم,وتسقى أولى الهوى,وهي تمدح لهم وتقدح بأعدائهم:

ثَنَتْ بعـ دما أثنـ تْ علـ يهم عِنانُهـ ا وجادت بحـ ـ مدِ ا ِ بالذبِ والنـ صر

ومن راحِها المختومِ تسقى أولي الهوى ومن درها المنظومِ تجلى أولى الفَقْـ ر

---

(1) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص520.

(2) المرجع نفسه,ص520.

(3) المرجع نفسه,ص520.

(4) المرجع نفسه,ص520.

(5) اليافعي,نشر المحاسن الغالية ,ص6.

(6) المرجع نفسه,ص6.

بمدحٍ وقدحٍ في علاهـم وفـي العِـدا   أولى النفعِ والحرمان والعرفِ والنُكْر

ويختتم بحمد ا   وذكر عدد أبيات القصيدة[1]:

ومسك الختـامِ الحمـد ِ ربنـا   وأبياتُها سـبعون منظومـةُ الـدر

وجميع قصائد اليافعي يختتمها بحمد ا عز وجل يقول في قصيدته بهجة الأنوار[2]:

والحمـد قَـد تمـت وخاتمهـا   غفرانَـك ا يـا غفـار سـتار

3. 2 الصورة الشعرية:

لسنا في هذا المقُامِ لرصد آراء القدماء والمحدثين في الصورة لأنها كثيرةٌ لكن لابد من تناول بعضِ الآراء في ذلك, عند القدماء,نجد الجاحظ(ت255هـ),الذي يعد واضع أساس البيان العربي,فقال في ذلك:"الشعر صناعةٌ وضرب من الصّيغ وجنس من التصوير"[3].

ونستدل من ذلك على أن معرفة العرب قديمة في معرفة الصورة الفنية وليس هناك شعر دون صورة.وقد أشار ابن قتيبة إلى فكرة النظمِ بمعنى سبكِ العبارةِ, وسبك الألفاظ أو ضم بعضِها إلى بعضٍ في نظامٍ دقيق ومتآلفٍ فيما بينهما وبين المعاني وتصورها أصدق تصويرٍ"[4].

ومن النقاد القدامى ابن طباطبا(ت322هـ)فقد كان"يدعو الشاعر إلى الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعرِ والتصرفِ بمعانيهِ ليجعلَ معانيه في أحسن زي وأبهى صورةٍ"[5].

ولأبي هلال العسكري موقف من الصورة حيث تناول موضوع الصورة والهيئة,قال:"إن الصورة اسم يقع على جميع هيئات الشيء لا على بعضها ويقع

---

(1) اليافعي , نشر المحاسن الغالية,ص6.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص223.

(3) الجاحظ,أبو عثمان عمرو بن بحر,(ت255هـ)كتاب الحيوان,تحقيق:عبد السلام محمـد هارون,مطبعة مصطفى البابي الحلبي ,مصر ج3,ط2, 1965م ,ص132.

(4) الجرجاني,نظرية النظم,وليد محمد مراد,دار الفكر (د.ط)ص69.

(5) ابن طباطبا,عيار الشعر ,ج3,ص19.

أيضاً على ما ليس بهيئة ,ألا ترى أنه يقال صورة هذا الأمر كذا ,ولا يقال هيئةُ كذا وإنما الهيئةُ تستعمل في البنيةِ,وقال تصورتُ وما قال تصورت الشيء"[1].

ومن بعدِ ذلك تجلى أمر الصورة عند عبد القاهر الجرجاني,حيثُ تناول موضوع الصورة بشكلٍ مطولٍ في كتابيه:(أسرار البلاغةِ)و(دلائل الإعجاز) ووضح فيهما الوسائل التي تجعل من الصورة حسنة مقبولة حتى إن عبد القاهر شبه صياغة الكلام بصياغةِ المعان النفسية" يقول:"ومعلوم أن سبيل الكلم سبيلُ التصوير والصياغة,وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيلُ الشيء الذي يقع التصوير والصوغُ فيهِ كالفضةِ والذهب يصاغُ منها خاتم أو سوار"[2],ويعلق وليد مراد على كلام الجرجاني السابق,قائلاً"إن عبد القاهر في تقريره للصورة والتصور قد أبرز قيمة التصوير في نظم العبارة,وأن هذا التصوير يكمن في ترتيب الألفاظ حسب ترتيب المعاني في النفس مع التأليف بينهما في صورة مبتكرةٍ للشاعر"[3].

من الواضح أن نقادنا القدماء قد ألبسوا الصورة رؤية جديدة وهي من خلق التراث النقدي الأصيل ,غير أن النقد العربي ظل ينقصه تحديد المصطلح الجامع للصورة,وظلت نظرتهم قائمة على عنصرين رئيسيين هما : "اللفظ والمعنى".

أما عن الدراسات النقدية الحديثة فقد فاضت بتناول مصطلح الصورة وتحديد مفهومه ووظيفته.ومن النقاد والأدباء المحدثين الذين تناولوا الصورة بشكل جلي مصطفى صادق الرافعي "وقد تنبه إلى الفرق بين الصورة الفنية والتعابير الفنية ووضح دور الحواس في الصورة, وأثر اللفظ زيادةً أو نقصاناً ,فآية الشّعر الحسن في تمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصوير"[4].

---

(1) العسكري (أبو هلال),الفروق اللغوية,تحقيق حسام الدين القدسي,دار الكتب العلمية بيروت لبنان,ص142.

(2) الجرجاني, دلائل الإعجاز في علم المعاني,ص322.

(3) مراد,وليد محمد ,نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبـد القـاهر الجرجاني ,دار الفكر ,بيروت ,ص19.

(4) الرافعي,,مصطفى صادق ,تاريخ آداب العربية,دار الكتاب العربي ,بيـروت ,ج2 ,ط4, 1974م ,ص 210.

ولإحسان عباس رأي في الصورة حيث قال:"والصورة الشعرية ليست شيئاً جديداً فإن الشعر قائم على الصورةِ منذ أن وجد حتى اليوم,ولكن استخدام الصورة,يختلف بين شاعر وآخر ,كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصورة"[1].

وتحدث أحمد الشايب عن الصورة من خلال:" صِدق الشعور وجمال التصوير وقوة التأثير ,فالشاعر يسعى في شعره إلى صفة الموسيقا,والرسم لكي يستطيع محاكاة الطبيعة والنفس بالصور البيانية التي يولدها التشبيه والكناية والمطابقة وحسن التعليل"[2].

أما إيليا حاوي فتناول الصورةعلى:"أنها الوجه الأوضح للوصف ومن خلالها يرسم الشاعر المعنى الذي في ذهنه بصورة رآها في بصره,لذا يرى أن هذا الوصف هو وصفٌ نقلي تظهر براعة الشاعر في اكتشافها, والصورة الشّعرية تخطف في حدس الشاعر المبدع خلال لحظة فائقة تنير معالم نفسيته جميعها"[3].

وفي هذا المجال تكون الصورة الشعرية قوة فنية عالية إذا انبثقت من قوة تخييليه نشطة,وهي تعبر عن تجربة الشاعر ومرتبطة بواقعه, يقول علي البطل:"فالصورة تشكيل لغوي,يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها ,فأغلب الصورة مستمدة من الحواس إلى جانب مالا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية, وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية ,أو تقديمها الشاعر أحياناً في صور حسية, ويدخل في تكوينها ما يعرف بالصور البلاغية من تشبيه ومجاز ,إلى جانب التقابل والظلال والألوان ,وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعرية والمشهد الخارجي"[4].

---

(1) عباس ,إحسان,فن الشعر,دار الشروق للنشر والتوزيع,عمان,ط2, 1959م,ص193.

(2) الشايب,أحمد,الأسلوب,مطبعة السعادة,مصر,ط7 ,1976م,ص62,68.

(3) حاوي,إيليا سليم,فن الوصف وتطوره عند العرب,دار الثقافة,بيروت, 1959م, ص24.

(4) البطل,علي,الصورة في الشعر العربي-حتى آخر القرن الثاني الهجـ ري,دار الأنـ دلس ,بيروت'ط1, 1980م, ص30.

وتكمن أهمية دراسة الصورة الشعرية في أنها تكشف عن أغوار نفس الشاعر.

يقول عبد القادر الرباعي:"إن دراسة الصورة الفنية وتحليل عناصرها وعلاقاتها ربما كانت من أفضل الوسائل للكشف عن المعاني الخفية للنصوص الأدبية التي كونتها عقلية أصحابها ورؤيتهم للكون والإنسان والحياة"[(1)].

3. 2. 1 الصورة عند عبد ا بن أسعد اليافعي:

يتوصل الشاعر إلى تصوير تجاربه الشعرية بمختاف وسائل التعبير, وفي مقدمتها الوسائل البيانية من تشبيه واستعارة وكناية...., ولقد استغل اليافعي هذه الوسائل البيانية في شعره أروع استغلال, في مختلف موضوعات شعره ليكسبها الحيوية والوضوح.

وقد أجمع النقاد على أهمية التصوير في تجريد المعنى وتحسين الشعر, فإذا خلا الكلام من التصوير والاستعارة,وجرى كله على الحقيقة ,كان بعيداً عن الفصاحة ,بريّاً من البلاغة[(2)].

تنوعت المصادر التي استقى الشاعر منها صورته الفنية, من ذلك الطبيعة بمظاهرها ,يقول د.محمد حسن عبد ا "إن الطبيعة بكل ما تنطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر,هي المصدر الأساسي لإمداد الشاعر بمكونات الصورة"[(3)] ,يقول الشاعر[(4)]:

شموس الهدى مِنْهم ومِنْهم بدوره ... وأنجمه مِنْهم ومِنهم شِهابه

---

(1) الرباعي,عبد القادر,الصورة الفنية في النقد الشعري,دار الفارس للنشر والتوزيع, ط1, 1997م, ص118

(2) عصفور,جابر أحمد,الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي,دار المعارف,1973

(3) عبدا ,محمد حسن,(الدكتور),الصورة الفنية والبناء الشعري,دار المعارف, القاهرة,ط1984م, ص33.

(4) اليافعي , الإرشاد والتطريز ص56.

والشاعر جعل للقلب أشجاراً ,واستعار السيل للدموع لتقريب صورته الوعظية مـن ذهن المتلقي[1]:

وداو لسقم القلبِ واعمـر خَرابـه	بِدهن رياضاتٍ وتـ ـوبٍ معجّـل
وأحرقْ بنارِ الحزن أشجار خبثـهِ	وفي سيل عينٍ كل أوساخهِ أغسل

ويستدعي الشاعر صور الطبيعة ,التي بناها على التشبيه ,حيثُ شبه الغنـى بالزهر النّضير الذي لاتدوم نضارته[2]:

فأما بنو الـدنيا ففخـرهم الغنـى	كزهرٍ نضير في غدٍ ييبس الزّهر
وأما بنو الأُخرى ففي الفقرِ فخرهم	نَضارتُه تـزداد مـابقي الـدهر

ويصور الدنيا بالبحر الذي لايتجاوزه الخاطئ[3]:

أجر رب من كل البلايـا وفتنـةٍ	بدنيا بها كم ذي افتتانٍ وكم خاطي
وكم غارقٍ في بحرها جاء شَـطه	فكيف بمن للبحر قد جاوز الشاطي

وهاهو يستدعي مظاهر الطبيعة في لوحته الوصفية الغزلية ,ويكثر من استخدام التشبيه والاستعارة, يقول[4]:

بخودٍ لها شعر إذا هـي أرسـلتْ	كسا البدر جعد كـالظلام رجيـلُ
وأنفٌ وثـغر كالقضيبِ وخـاتـم	به الشهد والوجه الأغـر صـقيلُ
وصوتُ ربابٍ ثم عين المها لـها	وجيـد غـزال كـاللجين طويـلُ
وخَصر دقيق غُصن بانٍ شَبيهـها	وساقٌ صـقيلٌ كالرخـام جليـلٌ
وحقان مخروطان من عاج لونهـا	وكفلٌ بمنـعٍ للنهـوض كفيـلُ[5]

إن الشاعر يجعل ما يحيط به عصاً يتكىء عليها ويسخر العناصر التي تحيط به لشعره ,ولابد من انسجام ما في الطبيعة مع ما في نفسية الشاعر, فشاعرنا يفصح

---

(1) اليافعي , الإرشاد والتطريز, ص56.

(2) المرجع نفسه، ص81.

(3) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج188/3.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز ص 223.

(5) الحق:وعاء من خشب, شبه به الثدي,الفيومي، المصباح المنير,ص89

عن توقيره للشيب وإجلاله له من خلال صورته التي استمدها من مظاهر الوجود, حيث يقول[1]:

لما نَظَرتُ إلى المـرآةِ قـد جليـت	شَاهدتٌ في تلك شيخاً قد علاه سـنَا
فقلتُ من ذا وعهدي قبلَ ذاك فتَـى	بالزهو يرفل في ثوبِ الشبابِ هنَـا
فقالَ منها لسان الحـال ذاك مـضى	في ليل جهلٍ قُبيل الصبح حين دنَـا
وذا بدا حِين فَجر العقل ضاء بـ ـهِ	نُور الوقار مع الأحلام قَـد سـكنَا

ويستمد اليافعي من الحرف بعض صوره,من ذلك استعماله لحرفة الزراعة في تشكيل صورته الوعظية ,فجعل الشاعر الشيب ينبه على وقت الحصاد[2]:

هلْ بعدما أبيض زرع في مزارعِـهِ	إلا حصاد وهلْ في وقْـتِ ذاك ونَـا
حصد القضا بغتـة تَـأتيه أمنيـةٌ	خفِ النوازل فالمغرور مـن أمِـنا
فَكم صغير زروعٍ حصد ذاك أتـى	فأنهض بعزمٍ وحـزمٍ عـلّ ذَاك دنَـا
شَمر وعمرّ يحصن القَلب حارسـه	ومن العـدّو الذي أمسى له وطَنَـا

وللشاعر العديد من الاستعارات الغريبة التي تعطي للـصورة الفنيـة عنـده وضوحاً وعذوبة,حيث استعار المراتب الرئاسية في حديثه عن ألوان الغواني[3]:

سلطان ألوان الغَـواني أبيـض	وله وزيـر أصـفر قـد قربـا
والأخضر الميمون أضحى عنـده	أيضاً أميـراً بالـسعادة مخَـصبا
لـم يبـق إلا جنـدي أو سـائس	فَاختْر لما يهواه طَبعـك فَاصـحبا

ويستدعي الصورة الحربية في حديثه عن مجاهدة النفس,فكللهـا بالعديـد مـن الاستعارات,يقول[4]:

شُموس الهدى قوم كِـرام تـدّرعوا	دروع الرضى والصبر في كل شدة
ولاقُوا طِعان النفسِ في معركِ الهوى	وراحوا وقد رووا مواضي الأسـنةِ
وساقوا جِياد الجِـد عِنـد اسـتباقهم	وأرخُوا لها نَحـو العلـى للأعنـةِ

---

(1) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج188/3.

(2) المرجع نفسه,ج189/3.

(3) المرجع نفسه,ج349/1.

(4) اليافعي, نشر المحاسن الغالية,ص87.

سموا فاجتلوا بيض المعالي غواليـا ببيض العوالي في القصور العليـة

وعند وصفه للطول والقصر والاعتدال في برجي الميزان والحمل,وشدة البرد في برج الدلو ,وشدة الحر في برج الأسد ,استعار الشاعر الصور الحربـ ـية للإفصاح عنها[1]:

إذا طال بالجوزاءِ نهـار مفـاخراً رماه بقوسٍ طولُ ليـلِ فيقـصر
وإن حمل الإنصاف يوماً بعد لـهِ أتاه بميزانٍ بهـا العـدلُ يظهـر
وإن شد حبلُ البردِ دلـواً ليـسقوا أتى أسد في حربِ حر وعـسكر
فيكسر هـذا ذاك حينـاً,وحـربهم سجالٌ,ويغزو ذاك هـذا فيكـسر

كما بنى الشاعر بعض صوره باستعارة الفواكه لأنواع العبادات[2]:

ويثمر خوخُ الخوفِ في روضةِ الرضا وأجـاص إخـلاصٍ وتـين التوكـل
وأرطاب حبّ قد جنتهـا يـد الهـوى وأعناب أشـواقٍ بها القلـب ممتـل
ورمـــان إجــلالٍ وتفـــاح هيبـــةٍ وموز الحيا مبدي رجـاء الـسفرجل

ولليافعي صور استمدها من علم الكيمياء والعقاقير, يقول[3]:

إذا رمتْ إكسير الهدى قالبـاً بـهِ نحاس ضلالٍ جوهر خذه منعوتـا
عقاقير مِن فقـرٍ وزهـدٍ وتوبـةٍ مع ورعٍ صبرٍ يكن مـــرة قوتـا

ويستمد الشاعر من عالم الحيوان مادة لبعض صوره الغزلية[4]:

لها جيد ريمٍ شـبه إبريـق فـضةٍ وعين المها ترمي بها داني الردى
إذا ما رمتْ لم تخط قـطْ مقـاتلاً ولا قوداً يعطـى ولا قتلهـا بـدا

ومن ذلك قوله[5]:

رمتْ مقلتي ريم لها بـين رامـةٍ وبين المصلى مـسمر ومقـيلُ
يسهم له نصلٌ وفي النصل جمـرةٌ وفي الجمر سم لـيس قـط يقيـلُ

---

(1) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقضان,ج3 /209.

(2) المرجع نفسه,ج119/3.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية, 93.

(4) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقضان,ج4 /84.

(5) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص224.

غَزالٌ له طرفٌ بِهِ الـسقْك زانـه قتور وغُـض أدعـج وكحيـلُ[1]

يشبه نفوس البرايا بالمطايا تسير على ما تعود[2]:

نُفوس البرايـا كالمطايـا يقُودهـا إذا عوّدت في كل شيء تُطـاوع

ويستخدمه في الهجاء[3]:

سكارى بمولاهم وأنـت بِجيـفةٍ أسيان؟لاوا ما الـسكر كالـسكر

ولا رغم فَـوق المزابـل جـاثمٍ على جيفٍ كالباز والنتن كـالعطر

ولقد كالّ اليافعي العديد من صوره بالكناية ,فكنى عن التحسر والندم بعض الكفّ وهي صورة استمدها من القرآن الكريم, يقول[4]:

إذا أصبح البطالُ في الحشر نادماً يعض على كـف أسـى يتحـسر

يحلي الشاعر صورته الوصفية للزاهد الصوفي بالكناية,يقول[5]:

حزين نَحيلٌ جِسمه ضامر الحـشا يصوم عن الدنيا على الموتِ يفطر

وفي مجال الغزل بنى صورته على الكناية بذكر الحِجل وهو الخلخال الذي تتزين به المرأة ,والحجل وهو جمع حجله موضع يزين بالثياب والستورللعروس,يقول[6]:

لما نأيتُ عن الأحبابِ مع وجلـي أضحت تَلوم ذواتُ الحِجل والحجل

ويستثمر اليافعي الأنماط الحسية في تكوين صوره,من ذلـك اسـتخدامه للـنمط البصري في صورته التمثيليه, يقول[7]:

شُموسهم حادةٌ الأبصار تُبـصرها وليس في الشمس للخفاش إبـصار

ويستخدم النمط البصري والسمعي والحركي في تكوين الصورة[8]:

---

(1) الدعج:سواد العين مع سعتها ,الفيومي، المصباح المنير,ص118.

(2) اليافعي,نشر المحاسن الغالية ,ص211.

(3) المرجع نفسه, ص5.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص 284.

(5) المرجع نفسه,ص284.

(6) المرجع نفسه,ص226.

(7) المرجع نفسه,ص56.

(8) المرجع نفسه,ص82.

وأبدت لك الحسن الذي تفـ ـردت به جل عن وصفٍ له أنتَ تَجتَلـ ـي

تجلت بوجهٍ أقبلتْ شَـ ـمس حـ ـسنهِ فَولت دياجي ظلمةِ اللـ ـيل تنجلي

وباحت لتوليك الـ ـسرور بِـ ـسرها قِنِلتَ المنى والعز والمنزل العلـ ـي

وولتك ملك الكون والدهر أخدمت غُلاماً وقالتْ ول من شئت واعزل

ويتظافر النمط الحركي والذوقي والشمي في تكوين صورته الخمرية الصوفية[1]:

ودارتْ كؤوس الرّاح تَسقي أولي الهوى مداماً عن محياها الحب من شمها سكر

فأضحوا سـ ـكارى ثم أمسوا فأصـ ـبحوا مدى دهرهم من سكرهم سـ ـكر الـ دهر

ويوظف الشاعر اللون في صورته الشعرية الوصفية ,ليضفي لوناً من الحزن والأسى,فكللها بالمحسنات البديعية,التي استمدها من مظاهر الطبيعة ليخرج لنا بلوحة تُعبر عن حرقة الفراق وأثره في نفس الشاعر[2]:

ولمّا تودعنا بِـ ـوادي النقّـ ـا وقـ ـد علانا على بعـ ـد اللقـ ـاء عويـ ـلُ

بدا برد قد عض عنّـ ـاب سـ ـندس وفي الوردِ در البحر صار يـ ـسيلُ

فهاجرتِ العناب وجداً من النـ ـوى ومن بعـ ـدهِ البلـ ـور عنـ ـه بـ ـديلُ

ويستدعي اللون الأخضر في وعظه[3]:

وتعتاض عن لينٍ بـ ـدنيا خـ ـشونةً وعن يابسٍ في الدين أخضر مورقا

ويوظف اللون الأصفر لبيان ألم الفراق[4]:

علاه اصفرار مـ ـدنفٌ والـ ـه لـ ـه أنـ ـين سـ ـقيم جِـ ـسمه ونَحيـ ـلُ

وجعل الشاعر للمعاني ألواناً ليضفي عليها البهجة والعذوبة, من ذلك قوله[5]:

كستَها المعاني أَخضر اللّون سندساً وأصفر ديباجـ ـاً وأحمـ ـر يملـ ـح

ويصور الدنيا بصورة تمثيلية رائعة,حيث جعلها عجوز سوء سوداء الجسم وصورها

---

(1) اليافعي، الإرشاد والتطريز,83.

(2) المرجع نفسه,ص224.

(3) المرجع نفسه,ص253.

(4) المرجع نفسه,ص47.

(5) المرجع نفسه,ص151.

بتصوير قبيح ,لبيان زيفها وغرورها وزوالها, يقول[1]:

عجوز السوءِ سودا الجسمِ شَـوها	وحـدبا تَحـتَ أثـوابٍ حِـسان
بـها يغتـر غـر لـم يـشاهد	عيوبـاً فـي هواهـا ذو افتتـان
جميع الدهر يجري لـيس يـدري	بِجـسمٍ مِـن مخَازيهـا مـلان
إلـى تَقْبِيـل ثَغـرٍ لـيس فِيـهِ	من الأسـنان مـا غيـر الاـسان

ومن ينظر في شعر اليافعي يجد أن الصور الشعرية في أبياته تتكون من عـدة مناظر استأصلها من أحاسيسه ومعتقداته الصوفية,ومشاعره ونفسيته وخياله ,حيـث أن الخيال هو أداة التحكم بالصورة الشعرية فالخيال هو الذي ينتقي ما لاءم التجربة الذاتية للشاعر عن الواقع ويعيد صوغه في قوالب جديدة ,والبيئـة والطبيعـة هـي مصدر من مصادر إمداد الشاعر بمكونات الصورة"العملُ الـشعري الـذي يؤلـف الصورة الشعرية في داخله ما هو إلا نتاج تجربة ذاتية للمبدع يعايشها في حياتـه مستلهماً معالمها من البيئة التي تحيط به, فهو يمتلك خبرة حياتية يعكسها على عمله الإبداع"[2].

2.2.3 اللغة والأسلوب عند الشاعر:

تُعد اللغة الشعرية عنصراً أساسياً يستخدمه الشاعر ليـشكل قـصيدته, ففـي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري, ومن لبنتها تُبنى الأشكال الفنية التـي تتـآزر على إبداعها مجموعة نفسّية وجمالية معقدة, فاللغة هي وسيلة الاتصال بين المبـدع والمتلقي في العمل الشعري, ولا يقصد باللغة اللفظة المفردة, وإنما وجودهـا فـي سياق خاص,واتصالها بكلمات أخرى تتفاعل معها, وتؤثر فيها, ومن هنا فإن اللغـة أهم ما في الأسلوب, واختلاف العبارات والتراكيب يدل على اختلاف الطرائق فـي التعبير عن الأفكار والعواطف [3].

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص57.

(2) القرعان,فايز، مجال الصورة الشعرية ومصدرها في شعر عبيد بن الأبـرص,مجلـة دراسات الإنسانية والاجتماعية ,المجلد 24,العدد 2,عام 1997م ,ص37.

(3) مكي,الطاهر أحمد,الشعر العربي المعاصر,ط3, 1986م,دار المعارف,مصر,ص76.

أما الأسلوب فهو في اللغة: الطريق؛ ويقال سلكت أسلوب فلان في كـذا: أي سلكت طريقته ومذهبه والأسلوب طريقة الكاتب في كتابته, والأسلوب:الفن؛ يقـال: أخذنا في أساليب من القول, أي بفنون متنوعة [1]، ويرى أرسطو أن الأسلوب هـو طريقة الصياغة اللفظية البليغة المؤثرة كالبرهنة في الكلام [2].

لقد استخدم الشاعر نمطين من الأسلوب اللغوي, الأول أسلوب اللغة البسيطة الخالية من الفخامة والمباهاة اللفظية, حيثُ أنّه في شعره يخاطب عامة الناس, يقول زكي مبارك"إنّ الصوفية في الأغلب يكتبون لعامة الناس, فهم لا يبالغون في تخيـر الفصيح من الألفاظ ولا يدققون في صقل الأساليب, ومن أجـل ذلـك نـرى فـي مصنفاتهم ألفاظاً وتعابير لا نجدها عند مـن يعاصـرهم مـن الكتـاب والـشعراء والخطباء, وقد يتفق في أحيان كثيرة أن نرى عندهم ألفاظاً يعسر الرجوع إليها فـي المعجمات, ويتفق أيضاً أن نراهم يصوغون الجمل صياغة تنكرها قواعـد النحـو القديم,ويحدث كذلك أنّ يغلب عليهم إغفال الإعراب, وذلك مما يدل على أن البلاغة عندهم تقوم على أساس أصيل هو تبليغ الدعوة الأخلاقية إلى سواد الناس...وبقليـل من التأمل ندرك أن أولئك القوم لم يكونوا من الغافلين, فالبلاغة في الأصـل هـي إقناع المخاطب,وما تخاطب به العوام يجب أن يختلف عما تخاطب به الخـواص"[3] فهاهو الشاعر يستخدم ألفاظاً قريبة من لغة الحياة اليومية التي يلحن فيها أحياناً , في بيان أحوال الزيارة, يقول [4]:

لا تَزرنا في الحمـى كـلّ عـامٍ	غير مثنى على مـرار الـدهور
هلْ تَرى العيد زائـراً كـل عـام	غيـر ثنتـين صـائداً بالـسرور

وكذلك قوله [5]:

وا ما أرتْضي فيهـا مطـالعتي	كي لا أرى شَين وجهِ للذنوب جنَا

---

(1) ابن منظور, لسان العرب,م1,ص133.

(2) معتوق, أحمد(1413هـ)طريقة اللفظية, مجلة التوباد, الرياض, ع(15),ص5.

(3) مبارك, التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق, ص78.

(4) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج166/3.

(5) المرجع نفسه ,ج188/3.

ويستخدم ألفاظا بسيطة لتقريب الصورة من أذهان العامة, يقول [1]:

من ليس يغنيه منّا واديـا ذهـبٍ يهلع ويجمع ولا يـشبع ويـدخر

ويمدح كتاب الحاوي مقابلاً بين الألفاظ بأسلوب سهل بسيط, يقول [2]:

كم من صغيرٍ كبير القدرِ مـشتهر وكم كبيرٍ صغير غيـر مـشتهر

ويقول في مجال الوعظ[3]:

وكـم لهـوت بِطيـبِ عـيشٍ دهـراً نَـسيتَ بـهِ المماتـا

والآن مـت وأنـت أيـضاً لا بـد يومـاً يقـال ماتـا

فَجِـدّ وأحـذر تَكـون مِثلـي كـسبتَ شـراً وخيـراً فاتـا

ومن أبياته الملحونه قوله [4]:

وكم مِن جـواهرٍ **أُحكـي** نَفـيسٍ ولي وصفٌ حكى وصف **الفُلوس**

فلـو بالمـدح قـابلتي أميـراً رجعتـي مِنـه بالمـال النَفـيسٍ

يقول زكي مبارك في اليافعي"اللحن يغلب عليه, بالرغم من حذاقته النحوية التي تلوح من حين إلى حين"[5].

ولليافعي بعض الأبيات الخالية من الرقي الأدبي,حيثُ تميل إلى النزعة السوقية [6]:

نَموت ولم نَنظُـر جمـالَ جلالـهِ ولم نَدر طَعم الحب مِثل **البهـائم**

لأن المحبّ لا يتذكر في هذا المقام عيش البهائم

وله أبيات أخرى في الحب الإلهي لم تسلم من هذه النزعة السوقية يقول [7]:

سكارى بمـولاهم وأنـت **بِجيفـةٍ** فَقس **رخماً** بالبازِ عند التَنَاصـف

(1) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج166/3.

(2) المرجع نفسه,ج126/4.

(3) اليافعي, روض الرياحين,ص499.

(4) المرجع نفسه,ص281.

(5) مبارك, التصوف في الأدب والأخلاق,ج247/2.

(6) اليافعي، الإرشاد والتطريز,49.

(7) اليافعي, نشر المحاسن الغالية, ص4.

أما النمط الثاني في شعره, فهي اللغة الراقية التي تكتفي بالإيحـاء وتتجنـب الوضوح وهي تتضح في أبياته الشعرية التي تتجاهل مظاهر الواقع الخارجي بحثـاً عما وراءه أو عن اللامرئي, استخدم فيه الشاعر الأساليب الرمزية والأخيلة الشعرية الغريبة والألفاظ أو العبارات الرمزية, فنجده يستخدم اللغة استخداما خاصاً اتـسعت معه دلالات الكلمات المستعملة وهكذا نجد كلمات كالقرب والسكر والأنس والمحبـة والوجد والصحو....وغيرها من المصطلحات تتسع دلالاتها الأولى اتـساعاً قـادراً على احتواء المعاني الجديدة, ويبرز طراز جديد من العلاقات بين الألفاظ والتراكيب اللغوية فهاهو الشاعر يعبر عن حبه وشوقه الإلهي بعبارات رمزية, يقول [1]:

شربنا حما الحب في قدسٍ حضرةٍ وأكْرِم بها في حضرةِ القدسِ من خَمـر

ويقول[2]:

مقرباً في بـساطِ الأنـس نائبـةٍ عنه مقامات أهل القُرب قَد صاروا

ويقول [3]:

قَلمــا غَــاب عــنّهم احــرقَتْهم علــى فُقْدانِــه نــار الحِجــابِ

ويقول [4]:

في حضرةِ القُدسِ للمحبوبِ حِين خلا مع المحـب مـسرات وأسـرار

تبدو أبيات الشاعر في ظاهرها مجرد نصوص غزلية تهيمن عليها لغة الغزل المعتادة, غير أن الشرح ينقل وضوح القصائد إلى غموض رمـزي تكـشف عنـه الدراسة الرمزية عند الشاعر, هذا الانفتاح على اللغة في بعدها الرمزي والاشـاري أوقع هذه اللغة في الغموض, غموض شعره واستغلاقه عن أهل الظاهر, لذلك على الدارس في شعر اليافعي أن يتعمق ويتوسع في قراءة المعجم الصوفي.

---

(1) اليافعي, الإرشاد والتطريز, ص221.

(2) المرجع نفسه, ص220.

(3) المرجع نفسه,ص133.

(4) المرجع نفسه,221.

نجد أن شعر اليافعي في لغته وصوره وأساليبه ومـضامينه الظـاهرة كـان يترسم الشعر العربي,لاسيما في موضوعات الغزل الرمزي والحنين إلـى المنـازل والديار المقدسة, والخمرة الرمزية, يقول [1]:

قِفي حدثينا مـن حـديثِ الأحبـةِ وقَد سكروا من كأسٍ راحِ المحب

ويقول [2]:

ودارتْ كُؤوس الراح تَسقى أولى الهوى مداما لاهل الحب مِن شَمِها سـكِر

ويقول [3]:

هذي دِيار الأحبةِ قد أضـاء بِهـا من حسنهم بهجة تَزهـو وأنـوار

ويقول [4]:

يا غائباً غَاب وهو في قَلبي أُشاهده ما غَاب من لم يزلْ في القلبِ مـشهوداً

إن فَات عيني مِن رؤياك حظهمـا فالقلبِ قد نَال حظاً مِنك محمـوداً

أما شعر المقامات والوعظ والإرشاد,فقد كان يغلب عليه إتباع شـعر الزهـد والأخلاق الدينية في الغالب, وكان يتصف بالأساليب الوعظية المباشرة, مـستخدماً استعارات وتشبيهات أو كنايات بسيطة لا تتسم بعمق الخيال الخلاق, وهي مناسـبة لهذا النمط الشعري لأن المقصود الأول منه هو الترغيـب والترهيـب أو النـصح والإرشاد,لذلك نجد نهضة الفكرة فيه طاغية علـى الـصيغة الفنيـة ذات الخيـال المركب,حيثُ يستخدم أسلوب الوعظ المباشر,وقد يقترب من اللغة النثرية العادية [5]

جليلُ العطايا في دقيـق التـورع فدقق تَنل عـالي المقـام المرفـع

وتَسلم مِن المحظُور في كل حالةٍ وتَغْنَم مِن الخيراتِ في كل موضع

ويقول [6]:

---

(1) اليافعي, الإرشاد والتطريز, ص27.

(2) المرجع نفسه ,ص83.

(3) المرجع نفسه ، ص221.

(4) اليافعي, روض الرياحين في حكايات الصالحين, ص408.

(5) اليافعي, نشر المحاسن الغالية,40.

(6) اليافعي, روض الرياحين في حكايات الصالحين,91.

وداوم ولازم قَرع بـابٍ مـؤملا فما خَيب المولى رجـاء مؤمـل
وصابر فما نَال العلا غير صـابرٍ وقلْ واعِظاً للنفسِ عنـد التَملمـل

أما شعر الحب الإلهي والشوق والحنين للأماكن المقدسة, فقـد حـاول فيـه الشاعر رسم اهتزازاته وحركته النفسية باللغة, فنجده يتقرب من أسلوب العـذريين, في تصوير عواطفه الداخلية باللغة والإكثار من مفردات الحنـين, وذكـر الأمـاكن المرتبطة بالحبيب, ونلاحظ فيه غلبة الأسلوب الإخباري, فهو يعبـر عـن وجـده بالوصف والإخبار عنها,حتى الأساليب الإنشائية الواردة, وأن تعلقـت مـن ناحيـة تراكيبه بالتساؤل والتمني, والطلب والنداء وغيرها, إلا أن مدلولاتها الأعمق تـؤول إلى تأكيد المعاني الخبرية, يقول الشاعر[1]:

أحاديثُ نجـدِ عللانـي بِـذكرها فَقلبـي إلـى نَجـدٍ أراه يميـلُ
بِتذكار سعدى أسعِداني فليس لـي إلى الصبر عنّها والـسلو سـبيل

ويقول [2]:

فقالتْ: أجل قُل في محـبٍ معلـل براح وصالٍ قلتُ:حـين تغزّلـي
لـيهن لعينـك المنّايـا مواصـلاً برؤياهما غالي الجمـال المكمّـل

يقول [3]:

إذا لم بليلى يحسن الشعر والهـوى فيا ليتَ شِعري من بهِ يحسن الشعر

ويتسع نطاق اللغة الشعرية عند اليافعي ليطول مفردات قرآنية ونبوية يحـرص على توظيفها بمدلولاتها الأصلية,وهذا ما كشفت عنه الدراسة التناصية.

3.3 الرمز الصوفي:

جاء في القرآن الكريم على لسان النبي زكريا عندما سـمع نـداء الملائكـة تبشره بأنه سيرزق بيحيى عليهما السلام: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ

---

(1) اليافعي, الإرشاد والتطريز, ص47.
(2) المرجع نفسه,ص82.
(3) المرجع نفسه,ص83.

َيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)[1].الآية هنا فحواها"عدم التكلم مع النـاس إلا بالرمز.ولكن ا تلطف به لكي لا يعقّد لسانه فأمره بالذكر والعبادة.ولمـا كـان الشيطان لا يأمر بعبادة ا ,أيقن زكريا أن التكلم مع الناس بالرمز مصحوباً بالعبـادة هو إشارة إلهية.والرمز هو الإيماء بالشفتين,وقد يستعمل الإيماء بالحاجبين والعـين واليد"[2].

والرمز في الاصطلاح تلطف في الإفهام بإشارة تُحرك طرف اليد واللحظ والشفتين"[3] الرموز إشارات واللغة الإنسانية التي هي أصوات يعبر بها كل قوم عن إغراضهم هي أكبر مجال رمزي فاللغة المكتوبة هي ضرب من العلامة أو الإشارة واللغة الفنية سواء في الشعر أو ألوان التعبير الفني الراقية الأخرى تجنح إلى ترميز وإيحاء ينحرف بها عن الاستعمال المعتاد في الحياة اليومية,وعن الاستعمال العلمي المحدد.وليس المتصوفة بدعاً في استعمال لغة خاصة بهم.فقد استعمل المتصوفة لغة رمزية ومصطلحات تخرج عن المعنى الظاهري إلى معنى انزياحي رمزي,ولكي نتعرف عليها ونفك رموزها لابد للرجوع إلى المصطلح الصوفي فالخمرة والمرأة وغيرها من المصطلحات التي ترد في أشعارهم ومؤلفاتهم تتعدى الدلالات المتواضع عليها إلى دلالات أخرى خاصة بهم يقول الشرقاوي" إن هذه الألفاظ لا تعرف عن طريق منطق العقل والنظر بقدر ما تفهم عن طريق الذوق والكشف ولا يتأتى ذلك إلا لسالك يداوم على مخالفة الأهواء,ويجتنب الآثام والبعد عن الشهوات,وإخلاص العبادات والسير في طريق ا (......)حتى تتكشف لهذا المريد الصادق غوامضها وتتجلى له معانيها"[4] ومن هنا كان للمصطلح الصوفي ظاهر خاص بعامة الناس,وباطن لا يدرك إلا بالكشف والذوق وهو خاص بالأولياء والمريدين ولا يفهمه

---

(1) سورة آل عمران ,آية:41.

(2) الطبطبائي,السيد محمد حسين,الميزان في تفسير القرآن,بيروت,موسسة الأعلمـى ج 3 ص309/307.

(3) المناوي,محمد التوفيق على مهمات التعريف,معجم اصطلاح لغـوي.تحقيـق رضـوان الداية,دار الفكر1990م,ط1, مادة رمز ,ص347.

(4) الشرقاوي, (مقدمة)معجم ألفاظ الصوفية, ص7.

سوى الخاصة الذين تركوا الدنيا وزهدوا في الحياة وأقبلوا على الخلوة والتفكير في الذات الربانية عشقاً وانصهاراً.

فالصوفي حين يتحدث عن حب ليلى, لا يقصد الحقيقة الواقعة,ولكن يقصد ليلى مجازية ,لذلك اختلط على الناس فهم عبارات الصوفية,والتبس عليهم المعنى الذي أرادوه, فرمزهم يفصح عن معاناتهم,فشعرهم شرود بعيد الآفاق ممتد إلى اللانهاية[1].

3. 3. 1 أسباب الرمز عند أهل التصوف:

هناك العديد من الأسباب التي دعت الصوفي إلى استعمال الرمز منها ما يرجع إلى وضع المتصوف بوصفه فناناً مرهف الذوق من الطراز الرفيع,وإلى العلاقة السلبية بينه وبين المجتمع,وموقف المجتمع السلبي منه,الذي فرض عليه أن يهرب ويبني عالمه الخاص المتحرر من قيود هذا المجتمع,وهذه قضية تكاد تنطبق على كل من مارس التجربة الصوفية من الهندوس,والبوذيين والمسيحيين, والمسلمين وسبب يرجع إلى خصوصية التجربة الصوفية الإسلامية التي فرضت على أصحابها اللجوء إلى الرمز.فالخوف من السلطة ورجال الدين وجمهور العوام,ثم قصور اللغة المتعارف عليها في التعبير عن مشاعرهم وتجربتهم الوجدانية المتفردة, وفي هذا تخبرنا كتب تراجم الصوفية أن هؤلاء دفعوا ثمناً باهظاً بسبب افتضاح عقائدهم خطأً وعن غير قصد أو بسبب إعلانهم عنها.وقد اضطهدوا على الدوام وكانت أصغر عقوبة تنزل بهم هي الشتم والاستهزاء. وقد واجه المتصوفة ثلاثة أعداء شكلوا وحدة مخيفة لهم. السلطة التي كانت تخاف أن يجتمع العوام حول المتصوفة ويشكلون بذلك قوة تهددها,ومن المعروف أن الحلاج قد أعدمته السلطة خوفا من ثورة مريديه[2] و الفقهاء الذين كانوا يخافون أن يفقدوا قوتهم الحقيقة وهي جمهور

(1) الآلوسي,عادل كامل,الحب والتصوف عند العرب,شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, ط1, 1999م ,ص74.

(2) لوي، ماسينيون, شخصيات قلقة في الإسلام,القاهرة ,دار النهضة العربية,1964م, ص78.

العوام وبهذا يفقدون مراكزهم,وقد أعدم الملك غازي بن صلاح الدين السهروردي وكان صديقه,في قلعة حلب بناء على طلب الفقهاء, وأما العدو الأخير للصوفية فهو العوام الموالين للسلطة والفقهاء[1].

لذلك لجأ المتصوفة إلى الغموض والإبهام والرمز في كتاباتهم وأحاديثهم خوفاً على حياتهم وضنا منهم وغيرة على حقائق أودعها الله في قلوبهم إذ هم وحدهم أهلها.ويصف لنا القشيري حال الكتاب الصوفيين فيقول:"إنهم يستعملون ألفاظاً فيما بينهم,قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإخفاء والستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غِيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها,إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع من تكلف,أو مجلوبة بضرب من تصرف,بل هي معان أودعها الله تعالى في قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم"[2].

3. 3. 2 جمالية الرمز عند اليافعي:

1. الرمز الخمري:

يخيل للناظر إلى شعر اليافعي وغيره من المتصوفة التي يرد فيها ذكر الخمر أنه يقرأ أبياتاً خمرية ,لقد ردد الشاعر كثيراً في أشعاره حالة السكر والنشوة والعربدة والكؤوس, وهذه ما هي إلا رموزا للحب الإلهي ووصول المتصوف إلى حالة من الهيام الإلهي التي تخرجه من حالة الوعي إلى الغيبة عن جميع الأعيان الكونية, يقول الشاعر[3]:

فلو شَاهدتْ ذاك الجمال عيونُنا سكِرنا وغِبنا عن جميع العوالِمِ

ومِلنا نَشَاوى من شَرابِ محبةٍ وباح بِمكتومِ الهوى كل كاتِمِ

---

(1) عبد المولى,محمود, شهاب الدين السهروردي المقتول والحكمة الإشراقية الصوفية, تونس 2001م,ص44.

(2) القشيري,عبد الكريم بن هوازن,الرسالة القشيرية' تحقيق,معروف زريف,ط2,دار الجيل ,بيروت , ص40.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص49.

فالجمال هنا هو الجمال الإلهي والأسرار الإلهية التي يطمح كل صوفي لنيلها والوصول إليها.والشاعر يغدقنا بنهر جارٍ عذب من الرموز المرتبطة بالخمر "سكرنا,غبنا,نشاوي"وكلها عبارة عن حالة السكر الصوفي والحب الإلهي ,يقول طه عبد الباقي"الحب الصوفي الذي فيه استقرار روحي وفيه متعة الحب بالجمال المقدس والجلال والحب هو أساس أحوال الصوفية,ففيه يشربون رحيق الحب الأعلى وينعمون بمتع ولذائذ روحية تنسيهم دنياهم وأُخراهم ووجودهم وكل شيء سوى المحبوب وفيه تنشأ المعرفة والمشاهدة"[1] ,إن حالة السكر أشار إليها عبد الكريم القشيري بقوله:"فصفاء المعاملات يوجب لهم ذوق المعاني ووفاء منازلاتهم ,يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الري. فصاحب الذوق متساكر,وصاحب الشرب سكران ,وصاحب الري صاح,ومن قوى حبه تسرمد شربه"[2] والشرب في المصطلحات الصوفيه هو"تلقي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يرد عليها من الكرامات, وتنعمها بذلك"[3],يقول الشاعر[4]:

فِفي حدثينا مِن حديثِ الأحبةِ   وقد سكروا مِن كأسِ راحِ المحبةِ

فوقوف الشاعر هنا يذكرنا بوقوف امرئ القيس على الطلل يذكر المحبوبة والأيام الخوالي في ظاهره,ولكن الحب والسكر هنا مختلف, فهو حب البر والصلاح حب إلهي,فهم سكروا فعلا من النظر والتأمل في شمائل الذات القدسية وجمالها الأسمى الذي يجل عن الوصف والتحديد,فالخمرة الصوفية رمز المعرفة الإلهية وهي"رمز الحقيقة الوجودية الجامعة"[5].

وليست الخمرة عند اليافعي المحرمة شرعاً,إنما هي خمرة الهوى, يقول[6]:

---

(1) سرور,طه عبد الباقي,الحلاج-الحسين بن منصور- شهيد التصوف الإسلامي دار نهضة مصر,القاهرة,1981م.

(2) القشيري, الرسالة القشيرية ,ص144.

(3) الحنفي, معجم مصطلحات الصوفية, ص140.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز,27.

(5) نصر,عاطف جودة,شعر ابن الفارض(1982م)ط1,دار الأندلس,بيروت,140.

(6) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص90.

سقاهم كُؤوس الوصلِ من خمرةِ الهوى إذا شمها في الغربِ من في المشارق
تَمايـلَ نَـشواناً بهـا طُـول دهـرهِ فَكيف بِمـن مِنها بكاسـاتها سـقي

اليافعي يستخدم التأثير الفعلي للخمر"تمايل نشواناً" من أثر الخمر مع مبالغـة "طول دهره" ليضفي على لوحته الرمزية صورة جمالية مبالغا فيها فـي ظاهرهـا, حقيقة يؤمن بها كل صوفي في باطنها,فالمتصوف يصل إلى حد التخيل الذي يـسكر النفس فتشاهد صورة المخيلة بعينه وكأنها شاهد حسي.

ويوضح الشاعر أن هذا الشراب منزه عن الخبائث, وأنـه يتعـدى الدلالـة الحرفية في الخطاب الديني الفقهي التي تتمثل في السكر,والخبث,والـرجس,لتأخـذ دلالة إيحائية رمزية تحيل عليه الصفاء والانتشاء الربـاني والامتـزاج الوجـداني, بقوله[1]:

شَراب له التنزيه لم يـأتِ حانـةً ولم تسقهِ هنـد و دعـد وزينـب

فيبين قدسية هذا الشراب بقوله:"شراب له التنزيه",والدليل على ذلـك أنـه لا يحتاج إلى الحانة وهو المكان الذي يشرب فيه الخمر,ولم تباشر به هند ولا دعد ولا زينب إذ أنه من المتعارف عليه سقاية المرأة للخمر في الحانات,فالشاعر يستخدم في هذا البيت التصريح أو كشف الرمز,بوضع صفة التنزيه له, الذي هي بعيـدة عـن الخمرة المتعارف عليها بأم الخبائث,يقول[2]:

نهـــاهم حبـــه لمـــا ســـقاهم حميّا الوصل عن حـورٍ حـسان

هذه الخمرة الرمز تَنْهى الذي شرب منها عن الاتصال بالنساء الحسان,فالحب الإلهي والسقي بإدراك الغائب هو سبب هذا النهي وهو عكس ماهو متعارف عليـه بمدلول الخمر الشائع وهو جمع النساء والأنس معهم,يقول[3]:

منزهةٌ في السكر والوصل والغِنى فلم تَحكِ لاهوتاً هنـاك ونَاسـوتَا

---

(1) نشر المحاسن الغالية,79.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,54.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,95.

يفك الشاعر شفرة الرمز هنا حيث أنها منزهـة فلـم تحـك"لا لاهـوت ولا ناسوت" [1]إن السكر والوصل والفناء الحاصل بسببها منزه عن كل ما ينافي التوحيد. والوصل هنا هو"إدراك الغائب مرادف للوصل والاتصال ,قالوا هو الانقطاع عمـا سوى الحق,وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب,فإذا رفع الحجاب عن قلب السالك وتجلى له يقال:إن السالك الآن واصل"[2].

هذه بعض تجليات رمز الخمر في شعر اليافعي,وإن حاولنا أن نفـك بعـض الغموض عنها وعن حالة السكر فيها لا نستطيع أن نصل إلى مبتغانـا ,إذ أنـه لا يعرف مكنونات رمزها عندهم سوى سالك سلك الطريق والمقامات والأحوال إلى أن تجلت له الأسرار الربانية ,والذي يعنينا هو جماليات هذا الرمز الذي اتـضح مـن خلال الأبيات السابقة.

2. رمز المرأة عند اليافعي:

"مثلت المرأة رمزاً مهماً,إن لم يكن أهم رمز,فـي الـشعر الـصوفي علـى الإطلاق ذلك أن المرأة في الغزل الصوفي والحب الإلهي هي رمز الذات الإلهية "[3] قضية الحب الإلهي هي محور الشعر الصوفي" فحينما يجعل الصوفية مـن المـرأة رمزاً للحب الإلهي ’فإنهم يلجأون إلى التأويل في تفسيرهم للشعر القديم,بحيث لم تعد الألفاظ تجري على ظاهرها, وإنما صارت ترمي إلى آفاق أخرى من المعاني فمثلاً (سعاد) في قول كعب بن زهير:

أمست سـعاد بـأرض لا يبلغهـا   إلا العتـاق النجيبـات المراسِـيلُ

إنما هو رمز للسعادة الكبرى التي لا ينالها إلا العارف بعد مجاهدات ورياضـات شاقة,ومغالبة لأهواء النفس,ولذلك كان مطلوباً للوصول إليها همة عالية,مرموز إليها

---

[1] وهو اعتقاد مسيحي بأن عيـسى عليـه الـسلام هـو كـائن يمثـل اتحـاد الجانـب الإلهي(اللاهوت)مع الجانب الإنـساني (الناسـوت)وهـي متـصله بنظريـة الاتحـاد والحلول,انظر: بدوي، شطحات الصوفية، وكالة المطبوعات ط2, ص12.

[2] الحنفي, معجم مصطلحات الصوفية, ص267.

[3] منصور,إبراهيم محمد، الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربـي المعاصـر (1995م)دار الأمين للطباعة والنشر ط1, ص56.

بالناقة الموصوفة بجملة الصفات المذكورة في البيت"[1].

ومعروف أن المتصوفة قد عجزوا عن استخدام لغة خاصة بهم في مسألة الحب, ولذلك كان شعرهم في الحب يحتمل المعنيين, معنى الحب الإنساني ومعنى الحب الإلهي,وهم قد أخذوا تلك الصفات, والتشبيهات وجعلوها رموزاً في تفسيراتهم الصوفية,أما الرموز نفسها فهي من الشعر العربي الغزلي المعروف ,فاليافعي يستخدم الألفاظ نفسها في السياقات نفسها التي استخدمها الشعراء العرب من قبله وقد أفاد من روايات الحب والمحبين مثل هند وبشر ,وليلى وقيس من ذلك قوله[2]:

جمالكُم مدهشٌ نفسي محيرها ونوركم من دياجيها منيرها

عن حبكم لا يرى شيء يغيرها لو عن هوى عزةٍ يسلو كُثيرها

وقيس ليلى لما عنكم أنَا بسلي

يخيل للمتلقي عند حديث الشاعر عن الحب الإلهي أنه يتغزل بامرأة , يقول[3]:

أمر طريقاً بـاللّوى إن مررتُها بِوادِ القنا خَوفَ الرقيبِ أَغيب

فإن نظرتْ عيناي يوماً إليكما غَضضتُهما كَيلا يغار حبيب

فحسبي حبيب في الفؤادِ مخيم وعيشُ ليلى عن سِواه يطيب

فالأبيات صورة جميلة عن خوف الحبيب من غيرة محبوبته,فهو يغض عينيه كي لا يغار الحبيب,ويكفيه حب الحبيبة ليلى عن حب غيرها,وفي معناها الخفي هو العزلة عن الناس لأن الاختلاط بالناس يشغل عن ذكر ا عز وجل ,وليلى هي الأسرار الإلهية التي لا يريد الشاعر سواها,و ليلى عندهم "رمز الوجود المطلق"[4]

وربعها هي الأماكن المقدسة, يقول[5]:

وزر ربع ليلى فالمحاسن والندى لدى ربعِها الممدوح في كل مجمع

---

(1) محمد,السيد إبراهيم، قصيدة البردة لكعب بن زهير ومكانتها في التراث الصوفي ,مجلة ألف,عدد ربيع 1985م, ص73.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص229.

(3) المرجع نفسه,ص85.

(4) سلام, الأدب في العصر المملوكي,ص253.

(5) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص517.

فَلا عيشَ إلا عيشُ ليلـى وعِـزة   يِوصلهما الغَالي العزيـز الممنـع

وهاهو يحسن الشعر من أجل الحبيبة ليلى[1]:

إذا لم بليلى يحسن الشعر والهـوى   فيا ليتَ شِعري من به يحسن الشعر

وسلمى في شعر اليافعي هي الشريعة الموصلة للحقيقة[2]:

سقتنا بِها سلمى من الراح عِنـدما   بدتْ فأضاء الكون مِن جانبِ الخَدر

أماطت حجابا عن بهـاء جمالهـا   فهمنا سكارى في المهامـةِ والقَفـر

فهو يتغزل بالشريعة وكأنه يتغـزل بـامرأة أظهـرت محاسـنها فأماطـت الحجاب,ولكن هذه الصورة لها بعد رمزي عميق فسلمى الـشريعة عنـدما سـلكها السالك أضاءت له الكون وأماطت الحجاب الذي هو في المصطلح الصوفي"كل مـا ستر مطلوبك عن عينيك وهو انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلـي الحقائق"[3], وقوله:" فهمنا سكارى",هنا يصل السالك لذروة غايته "الهيمـان" وهـو " دوام الحيرة وثباتها"[4] فهيمان المتصوف عكس الهيام المتعارف عليه فـي معـاجم اللغة الذي هو الهيم:مصدر هام يهيم وهيمانا:إذا أحب المرأة [5] والسكر هو"حيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم, إذ الشهود يحكـم بالفناء والعلم يحكم بالوجود"[6], فالمحبة الإلهية هى موضوع الإسكار وهـي بـديل الخمري الذي يسبب النـشوة والفـرح الـروحيين,والـصوفي فـي حالـة وجـده بالمحبة,يغمره فيض من اللذة الروحية,التي تطغى على كل كيانه[7].

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص83.

(2) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص4

(3) ابن عربي,اصطلاح الصوفية,دار إحياء التراث العربي,بيروت,(د.ت),ص13.

(4) الكاشاني,عبد الرزاق(ت730هـ)معجم اصطلاحات الصوفية,تحقيق:عبد العال شـاهين, دار المنار ط1, 1992م,ص320.

(5) انظر: الفيروزأبادي، القاموس,مادة(هام).

(6) الكاشاني,معجم اصطلاحات الصوفية,ص355.

(7) عودة, تجليات الشعر الصوفي قراءة في الأحوال والمقامات, ص355.

تَعوّض عن سلمى بسعدى ووصـلها عزيز ومن لم يمنح الوصل يتعـبِ[1].

ظاهر الأبيات أن الشاعر يستعيض من الحديث عن سـلمى بالحـديث عـن سعدى ,وإن وصلها عزيز ومن لا تمنحه الوصل يتعب,أما باطنها الصوفي فـسعدى هي الحقيقة التي تودي إليها الشريعة"سلمى",فالشاعر يستعيض عن ذكـر الـشريعة بذكر الحقيقة التي هي أعلي المقاصد,ذلك لأن المريد ترك الدنيا وتجاوز عن حـدود النفس والهوى ودخل في عالم الإحسان,يقولون: دخل في عـالم الحقيقـة,وقيـل إن الحقيقة هي "مشاهدة الربوبية"[2],ويوضح اليافعي أن الوصل إليها عزيز يحتاج إلـى جهاد مع النفس والشاعر يفصح عن خبايا رمزه" لسعدى" و"سلمى", بقوله[3]:

ومدحي حلى سعدى الحقيقة مدحتي لسلمى الشريعة والتماثيل أضرب

هذه المرأة يسامحها الشاعر إذا أسعدت غيره بوصلها في ظاهر الأبيات, يقول[4]:

إِذا أَسعدتْ سعدى سوانا ولم يكـن لنا مسعداً مِنهـا نـدى وسـماح

وباطنها أن الحقائق الإلهية إذا ظهرت لغيره من السالكين فهذا مبـاح لأنـه يكون أجدر وأحق بها منه.

والشاعر يوضح من خلال أبياته سبب استعماله للرمز, بقوله[5]:

أمّوه عن سلمى وعـن أم سـالم بهندٍ ودعدٍ خَـوف واشٍ وحاسـدٍ

ويقول[6]:

وأكني بسلمى عن حبيبِ الضمائر عن المنزل العـالي أمـوه بالنقـا

واليافعي عندما يتحدث عن الأماكن المقدسة في أبياته الشعرية كأنه يتغـزل بامرأة يحن إليها في ظاهرها,أما باطنها فهي رمز لحبه للأماكن المقدسـة,لأن لهـا

---

(1) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,77.

(2) الحنفي, معجم مصطلحات الصوفية,(1980م)دار المسيرة بيروت,ط1, ص79.

(3) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص79.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز, ص55.

(5) المرجع نفسه,ص83.

(6) المرجع نفسه,ص83.

أهمية خاصة عند المتصوف,حيثُ أكثر الصوفية كانوا ينقطعون للعبادة في منطقـة الحجاز لوجود الأماكن المقدسة, يقول[1]:

إلى كم على ليلى وسعدى وفي النقا	ونجدٍ ونعمانٍ هـواي أُحـــيلُ
وليس دمي في بطن نُعمان سـائلاً	ولكن له وادي العقيـق[2] مـسيلُ
رمتْ مقلتي ريم وفي النصل جمرةٌ	وفي الجمرِ سم لـيس قـط يقيـلُ
غَزالٌ له طرفٌ به الـسفك زانـه	فتـور وغـص أدعـج وكحيـلُ
لها بين سلعٍ والبقيـعِ حـذا قُبـا	قباب أحاطتْ بالِقبـابِ نَخـــيلُ

نجد في الأبيات وادي العقيق, ورامه, وسلع, البقيع ,وقباء,كلها أماكن موجودة في الحجاز واشتياقه للأماكن المقدسة ما هو إلا اشتياق للحضرة الإلهية والأسـرار الإلهية "إن المنهج الذي أسسه المتصوفة في التأويل الرمزي للشعائر منهج يقوم على الاستبطان ويستخاص الثمرة النهائية للشريعة والطقوس الدينية بواسـطة تحقيـق ذوقي,يهب الأعمال والأشكال والمتنوعة للنسك والوجود المتجدد النابع من الـشعور والمعرفة الصوفية"[3] أخذت الأماكن المقدسة منحاً معرفياً بإشارتها إلى أمور معنوية لا يصل إلى جوهرها إلا العارفون,لذلك أكثر منها اليافعي في أبياته الشعرية وهـذا نابع من مقدار ما بداخلهم من أسرار أراد الرمز لها بأمور ذات شرف لقربها مـن أماكن الفتوحات الإلهية, فما بداخله من أسرار أراد أن يبثها من خلال هذه الأماكن.

إن هذه الرموز يوهم بها الصوفي العامة بأن محبوبته إنسانية ,صـوناً لـسر محبته من الشيوع في غير أهله, فالحقيقة أن الصوفي لا يعرف إلا حبيباً واحداً هـو ربه ومولاه, فسلمى وسعدى وليلى ماهي إلا رموز تـدل علـى الأسـرار الإلهيـة والحقائق والشريعة والشوق الإلهي.

---

(1) اليافعي, الإرشاد والتطريز,224.

(2) العقيق الأعلى عند مدينة النبي مما يلي الحرة إلـى منتهـى البقيـع, الحمـوي,معجـم البلدان,ص560.

(3) نصر, شعر ابن الفارض,ص178.

3.رمز السر في شعر اليافعي:

لا يخلوا ديوان من دواوين أهل التصوف من ذكر "السر" في أشعارهم,ولقد أكثر الشاعر من ذكر السر, والسر " ما يكتم وهو خلاف الإعلان والجمع الأسرار وأسررت الحديث إسراراً أخفيته"[1], أما في اصطلاحات الصوفية فهو "سر الولاية الذاتية عند الفنا عن رسوم الصفات البشرية وصاحبه يستر حاله عن الخلق غيرة,ويتأدب بآداب الشرع صوناً,ويتهذب في الأخلاق والمعاملات طرفاً, وهو من الأخفياء الذين ورد فيهم أحب العباد إلى ا الأخفياء الأتقياء"[2], ويطلق لفظ السر "على ما يكون مصوناً مكتوماً بين العبد والحق سبحانه في الأحوال"[3].

يقول اليافعي إن هذه الأسرار يوحي بها ا عز وجل أن تنزل على قلوب من يشاء من عباده كما النحل[4]:

فيوحي إلى الأسرار كالنحل ربها أن اتخذي مِنها بيوتاً بِها احلاي

يطلب الشاعر هذه الأسرار من ا عز وجل ولكن حتى لو لم تأتِ فهو محب لمحبي هذه الأسرار والمراد أهل التصوف الذين لقبهم بالملوك, يقول[5]:

ولم ترض للوصل يوماً ولا رأت لِمثلي أسرار الملوكِ تُباح

محب محبيها طَريح ببابها أقولُ بجد لم يشُبهُ مزاح

ومن ينل هذه الأسرار فقد نال المنزل العلي, كما يقول الشاعر[6]:

وباحتْ لتُوليك السرور بسرها فنلتَ المنى والعز والمنزلَ العلي

وهذه الأسرار لا تأتي إلا بالخلوة التي ينادي بها اليافعي[7]:

---

(1) المقرى,أحمد بن محمد بن على الفيومي,المصباح المنير,دار الحديث,القاهرة, 2003م, ص156.

(2) الكاشاني, معجم اصطلاحات الصوفية, ص333.

(3) القشيري, الرسالة القشيرية, ص167.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص56.

(5) المصدر نفسه,ص55.

(6) المصدر نفسه,82.

(7) المصدر نفسه,221.

في حضرةِ القُدسِ للمحبوبِ حين خلا مع المحـب مـسراتٌ وأسـرار

المحبوب هنا ا عز وجل,والحضرة هي"صورة الإرادة الكلية"[1] أما مكنـون هذا السر ومحتواه فهذا لا يعلمه إلا أهل التصوف,وربمـا أراد بـه الكرامـات أو الغيبيات التي آمن بها أهل التصوف وسلكوا المقامات لنيلها.إن الصوفي لا يستهويه وضوح الكائنات والكون,لأن غايتهم متجهه صوب الحجب الغامـضة",هـذا الـسر حاضر في باطن الوعي الصوفي ويتقوى كلما اشتد الحنين إلى الأصول الوجودية"[2]

يقول الشاعر[3]:

فكم حبر تحقيق العلـومِ وعـارفٍ لأسرار غيـبٍ والحقـائقُ أبحـر

ويقول في هذا الصدد[4]:

فَأسرار غيبٍ عندهم علم كـشفها وقد سكِروا مِما يطيـب شَـرابه

ويقول[5]:

وأسرار غيبٍ أودِعتْ في قلـوبهم لهم كل شيءٍ خاضع ثُـمّ طـائع

يقول ابن خلدون مفرقاً بين السحر والتصوف:"وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضاً في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر وإنما هو بالإمداد الإلهي,لأن طريقتهم من آثار النبوة وتوابعها"[6].

يقول الـدكتور محمـد بنعمـاره:"شـعراء الـصوفية أصـحاب تجـارب باطنية.يحيطون أسرارهم بالتستر,ويصرفون الناس عما تكنه أعماقهم, وهم في هـذا الأمر متحققون من أن أحوالهم,لا تشبه أحوال غيرهم,ولذلك فإن الأغيار لا يصلون

---

(1) الكاشاني,اصطلاحات الصوفية,ص88.

(2) عبد الحق, منصف، الكتابة والتجربة الصوفية"أنموذج محي الدين بن عربي" منشورات عكاظ, ط1, 1988م, ص457.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,283.

(4) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص48.

(5) المرجع نفسه,211.

(6) ابن خلدون,المقدمة,ص472.

إلى ما وصلوا إليه في تجاربهم الذوقية ولا يحصلون على نشوة التجربـة الذوقيـة, وليس في مقدورهم أن يدركوا معنى السر,وإشاراته"[1] .

3. 4 التناص التعريف به:

التناص لغةً,من نصص,جاء في لسان العـرب(نـصص):"الـنص: رفعـك الشيء,نص الحديثُ ينصه نصاً, رفعه, يقالُ: نص الحديث إلى فلانٍ أي رفعه وكذلك نصصته إليه,ونص كل شيء: منتهاه"[2].

التناص اصطلاحاً, يقول"باختين":التناص يعنى تجمعاً لتنظيم نـصي معطـى بالتعبير المتضمن فيه أو الذي يحيل إليه"[3].

أماجوليا كريستيفا فعرفته بأنه"ترحال للنصوص, وتداخل نصي,ففي فضاءِ نص معين, تتقاطع وتتنافر ملفوظات مقتطعة من نصوص أخرى"[4].

أما"جيرار جينيت"فعرفه:"التناص هو كل ما يجعلُ النص في علاقةٍ خفيـة أم جلية مع غيره من النصوص"[5] أما "مارك أنجينو" وهو من النقاد المنشغلين بنظريات النص والتناص, أضاف بعداً جديداً يقول:" كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مـع نصوص أخرى, وبذا يصبح نَصاً في نص تناصاً, وبذا أيضاً, تنتمي الكلمـة إلـى الجميع لكونها تؤشر على فكرة مبذولة في كل دراسةٍ ثقافيةٍ, ويضيف,وهنا الإشكال,

---

(1) بنعماره,محمد، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصـر,شـركة المـدارس للنـشر والتوزيع –الدار البيضاء-ط1-2001م,ص249.

(2) ابن منظور,أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرمبن على,(ت711هـ ـ) (د.ت)لـسان العرب,أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي,دار إحيـاء التـراث العربـي بيروت,ج648/3,وأنظر الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مادة نصص,361/1.

(3) المديني,أحمد، 1989م,في أصـول الخطـاب النقـدي الجديـد,دار الـشؤون الثقافيـة العامة,بغداد,ط2,ص103.

(4) كريستيفا"جوليا",1991م,علم النص,ترجمة مزيد الزاهي,مراجعة عبد الجليل,دار توبقال للنشر والتوزيع,الدار البيضاء,المغرب,ط1,ص21.

(5) جينيت"جيرار",مدخل لجامع النص,ترجمة عبد الرحمن أيوب,دار الشؤون الثقافية العامة ,بغداد,ص90.

والتفكير فيما هو تناص سيسمح بإعادة إلقاء الضوء على بعض الأشكال,غير المعتنى بها في الممارسة الأدبية والتـي تُـدعى:الانتحـال,الباردويـا,الهجـاء والمنتـاج الكولاج(اللصق),المقطعية....الخ"[1].

والتناص ليس عيباً أدبياً,فهو لا يعيب النص,يقول مفيد نجـم"إن التنـاص أو التدخل النصي الذي يمثل اشتغالاً على نصوص أخرى لا يقلل من أهمية النص الذي ينهض على تخومِ نصوصٍ أخرى,فهو لا يلغي خصوصية الإبداعية,بل على العكس يؤكد سماته المتميزة بوصفه نصاً قائماً بذاته تجاوز غيره أو تخطاه"[2].

لم يكن مصطلح التناصّ مضموناً مصطلحاً حديثاً,حيثُ أنه له جذور تاريخية قديمة يقولُ محمد بنيس:"إن الشِعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيـره من النصوص منذ الجاهلية ,وضرب مثلاً للمقدمة الطللية, والتي تعكس شكلا لساطة النص,وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينهما,فكون المقدمـة الطللية تقتضي ذات التقليد الشعري من الوقوف والبكاء وذكر الدمن ,فهذا إنما يفتح ُأفقاً واسعاً لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك ووجود تربة خـصبة للتفاعـل النصي"[3].

إن النُقاد العرب أدركوا مفْهوم التناصّ لكنه كان يحمـل مـسميات مختلفـة كالسرقات الأدبية والمعارضات والموازنات والتضمين والاقتباس,فمن خلال ماورد في كتبهم ومصنفاتهم من مصطلحات ومفاهيم,غدت بذورها الظاهرة النقدية الحديثة لمفهوم التناص الذي يمثل قمة التحليل للنصوص الأدبية يقول الجرجاني:"لا سـبيل إلى أن تجئ إلى معنى بيت من الشعر أو فضل النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصـيته وصفته,وبعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك,لا يخالفه في

---

(1) الزعبي,أحمد، التناص نظريا وتطبيقـا,مؤسـسة عمـون للنـشر والتوزيـع,عمـان-الأردن,ط2,ص13.

(2) نجم، التناص ومفهوم التحويل في شعر محمد عمران,مجلة الموقف الأدبي,أيلول/تشرين أول/1997م/السنة السابعة والثلاثين/ص47.

(3) بنيس,محمد,ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقارنة بنيوية تكوينيـة) دار توبقـال للنشر والتوزيع ,المغرب,ط1, 1990م,ص182.

صيغته أو وجه,ولا أمر من الأمور"[1] ويقرر الجرجاني أن السرقات أنـواع كثيـرة ويحصرها في عدة مصطلحات :"السرق والغصب والإغارة والاخـتلاس والإلمـام والملاحظة"[2].

ويحذر (الجرجاني)من ظن السرقة في الظاهر من الألفاظ والمعـاني,يقـول "وأول ما يلزمك في هذا الباب ألا تقصر السرقة على ما ظهر ودعا إلى نفـسه دون ما كمن ونضج عن صاحبه,وألا يكون همك-في تتبع الأبيات المتـشابهة والمعـاني المتناسخة-طلب الألفاظ والظواهر دون الأغراض والمقاصد"[3].

ويقول ابن رشيق في السرقات:"إنها باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة فيه"[4].

ولا بد أن يستدعي النص الحاضر مجموعة من الخصائص القديمة التي تنتمي إلى فن محدد,يقول ابن الأثير في ذلك:"فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة ,وتذكي الفطنة ,وإذا كان صاحب الصناعة عارفاً بها تصير المعاني التي ذكرت,وتعب في استخراجها ,كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد"[5].

إذن فالتناص أمر لا مفر منه,وهو موجود في كل نص أدبي شعراً كان أم نثراً,لأنّ النص هو إناء يحتوي بشكل أو بآخر أصداء نصوص أخرى,فالأديب المبدع يتأثر بتراثه وثقافته ويبني عليها نصه.

---

(1) الجرجاني,عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت471هـ)دلائل الإعجاز فـي (علـم المعاني)تحقيق محمد عبده,محمد محمود الشنقيطي,دار الكتـب العلميـة ,بيـروت,ط1, 1988م,ص201.

(2) الجرجاني, الوساطه بين المتنبي وخصومه، ص183.

(3) المرجع نفسه,ص201.

(4) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, ج215/2.

(5) ابن الأثير,المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر,69/1.

التناص الديني:

3. 1.4.التناص من القرآن الكريم عند اليافعي:

تناولت في هذا المجال استدعاء بعض الآيات القرآنية أو التأثر بألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية."ومن بين استخدامات التناص نجد أن توظيف النصوص الدينية في الشعر يعد من أنجح الوسائل,وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه,لأن النفس تنزع إلى حفظه ومداومته لأهميته وجماله وهي لاتتمسك به حرصاً على قوله فحسب,وإنما على طريقة القول وشكل الكلام أيضاً,ومن هنا يصبح توظيف التراثِ الديني في الشعر تعزيزاً قوياً لشاعريته ودعماً لاستمراره في حافظة الإنسان"[1] ,ونجد أن التأثر بالقرآن عند الشاعر قد يكون صريحاً بعباراته أو مضمناً بمعانيه, من ذلك قوله في الأسرار الربانية[2]:

فيوحي إِلى الأسرار كالنحل ربها أن اتخذي منها بيوتاً بها الحلي

فجعل الشاعر ا عز وجل يوحي إلى الأسرار الربانية أن تتخذ من قلوب الأولياء بيوتاً كما النحل,وأخذ الشاعر صورته التشبيهية من قوله تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[3].

وهذه الأسرار الربانية تضئ بقلب المؤمن فيصبح كالمصباح وزيته التقوى, يقول[4]:

بمصباحِ قلبٍ في زجاجةِ صدرهِ بمشكاته من زيتِ تقواه مشعل

لقد استدعى الشاعر صورته من قوله تعالى(اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)[5].

---

(1) فضل,صلاح,إنتاج الدلالة الأدبية قراءة في الشعر و القصص المسرحي هيئة مصر الثقافية,1993م,ص41/42.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,56.

(3) النحل,الآية:67.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز,56.

(5) النور,الآية'35.

ويحذر الشاعر من مخالطة الفاسقين الظـالمين ببيـت شـعري فيـه أمـر وتحذير[1].

ولا قط أهل الظُلمِ تَـركَن إلـيهم   مع القومِ تُحشر ثم في النار تُطرح

ولقد أخذ هذا الأمر من قوله تعالى(وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)[2].

وفي قصيدة تتضمن شكر ا عز وجل على نعمه, وتقرير حقيقة أزلية هـي تسبيح جميع الكائنات بحمد ا وفضله, منها[3]:

تُـسبح كـل الكائنـاتِ بحمـدِهِ   سماء وأرض والجبـالُ وأبحـر

جميعاً ومن فيهن والكـل خاضـع   لهيبتــهِ العظمــى ولا يتكبــر

جاءت الأبيات الشعرية السابقة تضميناً لقوله تعـالى(تُـسَبِّحُ لَـهُ الـسَّمَاوَاتُ الـسَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)[4].

وفي عظمة ا عز وجل وشهود ذرات الوجود لجلالته, يقول[5]:

له كـل ذَراتِ الوجـودِ شـواهد   على أنه الباري الإلـه المـصور

يوظف الشاعر أسماء ا الحسنى التي استدعاها من قوله تعالى(هُوَ الله الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[6].

وفي تسخير ا عز وجل للأرزاق, يقول[7]:

وأخرج مرعاهـا وبـث دوابهـا   وللكل يـأتي منـه رزقٌ مقـدر

قال تعالى (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)[8].

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,60.

(2) سورة هود,الآية:113.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,279.

(4) الإسراء,الآية:44.

(5) اليافعي,الإرشاد والتطريز,279.

(6) الحشر'الآية:24.

(7) اليافعي,الإرشاد والتطريز,279.

(8) النازعات,الآية:31.

وفي وصفه للسماء وتحليها بالنجوم التي تضي الليل كالمصابيح, يقول[1]:

وزان سماها بالمصابيح أصـبحتْ وأمستْ بباهي الحسن تَزهو وتُزهر

تَراها إذا جن الدجى قـد تقلـدتْ قلائـ ـ ـد دراً لـ ـ ـدر تحقـ ـ ـر

وهو مأخوذ من وصف القرآن لها قال تعـالى(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ)[2].

ولليافعي أبيات يأمر فيها بتقوى ا عز وجل, حيث يقول[3]:

عليك بتقوى ا ِ يخرجك من ردى ويرزقْك َمِن غَيبٍ وأنتَ مـروح

لقد أخذ الشاعر فحو بيته من قوله تعالى(وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ)[4].

ولليافعي استحضار لأشخاص أكثر القرآن من ذكر قصصهم من ذلك فرعون ومريم عليهما السلام ,حيث يستخدم الاستفهام الإنكاري ويورد ذكر فرعـون الـذي أكثر القرآن من طغيانه وكفره, يقول[5]:

أفرعون أولـى قـدوةً أم محمـد عليه صـلاةُ ا ِ نعـم المـشرع

قال تعالى في كتابه العزيز: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)[6].

ويستحضر الشاعر قصة مريم عليها السلام في مجال الحث على التعب فـي العبادة يقول[7]:

كرزقٍ أتى من قبل مِحراب مـريم بِلا تعبٍ يلقى وجاء بعد بِالتعـبِ

ففي هزها للجِذعِ بعـض مـشقةٍ ولو لم تَهزّ الجِذع ما سقط الرطبِ

---

(1) اليافعي، الإرشاد والتطريز,279.

(2) الملك,الآية:5.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,151.

(4) الطلاق,الآية:3-2.

(5) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,161.

(6) طه,الآية:24.

(7) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,62.

قال تعالى: (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّـاً) [1] قال تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنـدِ اللهِ إنَّ اللهَ يَـرْزُقُ مَـن يَـشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[2].

لقد أكثر الشاعر من وصف الجنة ونعيمها وهو يستحضر وصف القرآن لها يقول[3]:

وما يشتهى من لحمِ طيرٍ طَعامهـا وفاكهـــةٍ ممـــا لـــه يتخيـــر

قال تعالى (وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) [4].

يقول الشاعر في أكواب الجنة[5]:

وأكْوابِهـا مـن فـضةٍ لا كبيـرةً على شاربٍ منها ولا هي تَـصغُر

وهو يستحضر قوله تعالى:(وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ) [6].

واليافعي عند وصفه لحور الجنة,يوظف الصفات التي وردت لهن في القرآن الكريم, يقول[7]:

كواعب أترابٍ زهتْ في خيامهـا بظلٍ نعيمٍ قـط مـا مـسها شَـقَا

قال تعالى في كتابه العزيز(وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً) [8].

وفي تحية أهل الجنة, يقول الشاعر[9]:

يجزون غُرفاتٍ بها فَـوقَ المنُـى وتَحيـــة يلْقَونَهـــا وســـلاما

وهو مأخوذ من قوله تعالى(أُوْلَـئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً) [1].

---

(1) مريم,الآية:25.

(2) ال عمران,الآية:37.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,280.

(4) الواقعة,الآية20-21.

(5) اليافعي,الإرشاد والتطريز,280.

(6) الإنسان ,الآية15.

(7) اليافعي,الإرشاد والتطريز,252.

(8) النبأ,الآية:33.

(9) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,52.

ولقد أكثر الشاعر من وصف أهوال نار جهنم مستدعيا صفاتها من القرآن الكريم,يقول[2]:

لها شَرر كالقَصر فِيها سلاسلٌ عِظام وأغلالٌ فغُلوا وجرجروا

قال تعالى في وصف نار جهنم: (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) [3].

ويقول الشاعر في أهوال يوم القيامة [4]:

ترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن العذاب شديد

وهو اقتباس من لقوله تعالى: (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) [5].

ويقول اليافعي في وصف أهوال نار جهنم,ووصف ملائكة أهل النار [6]:

هناك جيوش يهدم الكون ضربهم غِلاظٌ شداد خَارجون عن الحصر

ولقد استدعى اليافعي وصف ملائكة النار من قوله تعالى: (يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [7].

ويصف ملائكة العذاب, بقوله[8]:

وحياتُها كالبختِ فيها عقارب يغالٌ وضرب والزباني ينْهر

ويستحضر اسم ملائكة العذاب من قوله تعالى:(سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ) [9].

وفي شيب الشباب يوم القيامة من هول الموقف, يقول[10]:

---

(1) الفرقان,الآية:75.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,282.

(3) الصافات,الآية:62.

(4) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,75.

(5) الحج,الآية:2.

(6) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص5.

(7) التحريم,الآية:6.

(8) اليافعي,الإرشاد والتطريز,282.

(9) العلق,الآية:18.

(10) اليافعي,الإرشاد والتطريز,282.

وقد شاب من يومٍ عبوسٍ شـبابهم   لهـولِ عظـيمٍ للخلائـق يـسكر

لقد استحضر الشاعر قول ا تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) [1].

3. 2.4 التناص من الحديث النبوي الشريف:

إن السيرة العطرة للرسول الأعظم,صلى ا عليه وسلم نبراس هدى ونـور حق استلهم منها اليافعي معاني جليلة,ضمنها في أشعاره وأخـذها بـصدق القـول والرؤيا مثبتاً من خلالها صدق توجهاته,والاستشهاد بمواضع حديثـه علـى صـدق كلامه.

يقول شاعرنا في الحث على المرافقة الحسنة والبعد عن رفاق السؤ والضلال[2]:

مع من أحب يكُون المرء يومئـذٍ   والأجر حقٌ لقوم للهدى نَـصروا

والشاعر يضمن بيته حديث رسول ا صلى ا عليه وسلم"المرء مـع مـن أحب"[3].

واليافعي شاعر وعظي يرغب بالجنة يذكر نعيمها ومحاسـنها وينفـر مـن النار,وله العديد من القصائد الشعرية في وعظ النساء ,من ذلك قوله[4]:

قل للغـوانِي مـن أرادت سـعادةً   تَوقِي عذاباً بالنسا صـار محـدقاً

فأكثر أهـل النـار هـن حقيقـةً   روينا حديثاً فيهِ صـدقاً مـصدقا

وهو يخللها قوله صلى ا عليه وسلم"قمت على باب الجنة,فكان عامـة مـن دخلها المساكين,وأصحاب الجد محبوسون,غير أن أصحاب النار قد أمر بهـم إلـى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء"[5].

ويحدثنا اليافعي عن نعيم الجنة, بقوله[6]:

---

(1) الزمر,الآية:17.

(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج167/3.

(3) البخاري,الإمـام محمـد بـن إسـماعيل (ت256هـ)صـحيح البخـاري, 556/10 برقم(6168)في الأدب,باب علامة حب ا , دار الفكر للطباعة والنشر(د.م)1981م,

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص253.

(5) البخاري,صحيح البخاري, في الرقاق ,باب صفات الجنة والنار, 361/11

(6) اليافعي,الإرشاد والتطريز,280.

ويـــامن لَهـــا إن المحاســن كلهـــا بدارٍ بها مالا على القلـبِ يخطـر
ولا سمِعتْ أذن ولا العين أبـصرتْ وما تشتهيهِ النفس في الحال يحضر

وهو يشير إلى الحديث القدسي, يقول الله عز وجل:"أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت,ولا خطر على قلب بشر,ذُخرا ما أطلعتكم عليه"[1].

وفي نعيم الجنة كذلك يقول الشاعر[2]:

ومن عسلٍ والخمر نهران جوفهـا ونهـران ألبـانٍ ومـاء يفجـر

ولقد استدعى اليافعي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"إن في الجنة بحر الماء وبحر اللبن,وبحر العسل,وبحر الخمر,ثم تنشق الأنهار بعد ذلك"[3].

والشاعر له أبيات في تفضيل الأشعث الأغبر الذي يعتزل الناس ويسكن القفار[4].

خلعـاتُ مـولاهم علـيهم زهـر تَزهو وبين الخَلـق شـعثٌ غُبـر
ما أحمر الكبريت يدري جهالْ
مـع حبـهِ أعطـاهم المعـارفْ إن أقسموا يومـاً أُبـر الحـالفْ
أحبةٌ أدلوا بكل دلالْ

والشاعر يأخذ معناه من قوله صلى الله عليه وسلم"رب أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره"[5].

والشاعر يدعو الله عز وجل من خلال أبياته الشعرية ,ويطلب من الله أن يحصنه من منكر ونكير,فتنا القبر, يقول[6]:

---

(1) البخاري,صحيح البخاري,1185/3,برقم (3072).

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص280.

(3) الترمذي, سنن الترمذي, 699/4برقم2571.

(4) اليافعي ,الإرشاد والتطريز,251.

(5) مسلم,أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري(ت261هـ)صحيح مسلم تحقيق فـؤاد عبـد الباقي,(2622)في البر والصلة ,بـاب فـضل الـضعفاء والخـاملين, رئاسـة أدارت البحوث,الرياض

(6) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج271/4.

وأسبل الـستر يـاربي علـي إذا	ماجئتُ يارب كُن حصني من الألمِ
ومن نكيـرٍ,ومـن قبـرٍ ومنكـرٍ	ومن عذابٍ ليـومِ الحـشر لازمِ

إن الخلفية الدينية للبيت أخذها اليافعي من قول رسول ا صلى ا عليه وسلم لعمر:"كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت,(.....)أتاك فتانا القبر:منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهم كالبرق الخاطف......)[1].

ويأخذ شاعرنا أحاديث رسول ا بمجملها وينظمها شعراً من ذلك قوله في السبعة الذين يظلهم ا بظله يوم لا ظل إلا ظله[2]:

يظلهـم فـي ظِلـهِ ا يـوم لا	سِوى ظلـه ظـل فَهـاك مقـالي
إمام له عدلٌ ومـن فـي عبـادةِ	نَـشا يـالتُقْى لا يظـلال
ومن قلبه يهوى المـساجد دائمـاً	تَعلقــه فيهــا بغيــر زوال
وشَخْصان في ا الكـريم تَحابـا	بِحال افتـراقٍ مِنهمـا ووصـال
وإني أخَافُ ا من قـال عِنـدما	دعتْ ذات عالي منْصبٍ وجمـال
ومصدقٍ أخْفَى التَصدق لـم يكـن	بما أنفقـت يمنـاه علـم شـمال
ومن ذكر الربّ المهـيمن خاليـاً	ففاضت به عينَـاه خَـوفَ نَكـال

الأبيات تضمين لحديث رسول ا "سبعة يظلهم ا تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله:إمام عادل ,وشاب نشأ في عبادة ا ,ورجل قلبه معلق بالمساجد,ورجال تحابا في ا ,اجتمعا عليه وتفرقا عليه,ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ,فقال:إني أخاف ا ,ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجلٌ ذكر ا خالياً ففاضت عيناه"[3].

يقول اليافعي في مدح أبي بكر الصديق[4]:

فوا لـو كـان النبـي مخِـاللاً	خليلاً سوى الربّ الذي خلقه بـرا
لكان أبـو بكـرٍ خَلـيلاً وسـابقاً	بِخُلتـهِ كُـلاً يمينـاً بـلا افْتِـرا

---

(1) البيهقي, السنن الكبرى, (223/1).

(2) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص14.

(3) البخاري, صحيح البخاري, ج29/3.

(4) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج57/1.

وهو يمدحه بما جاء بحديث رسول ا صلى ا عليه وسلم"لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"[1].

وله أبيات شعرية في تفضيل إنفاق الفقير على الغني لحاجة الفقير لما ينفقه ويصرح بأخذه الحديث من الإمام النسائي, يقول[2]:

رويـنـا حـديثاً بالأسـانيدِ مثبتـاً وفي النسائي يلقاه مـن يتْـصفح

على مائةٍ مع مثلهـا ألـفُ مـرّةٍ لصاحب دنيا درهم الفقر يـرجح

قال رسول ا في الترغيب بالصدقة"سبق درهم مائة ألف درهم رجل له درهمان فتصدق بدرهم,ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألفِ فتصدق بها"[3].

وينهي الشاعرعن كثرة الأكل للطعام لأنها تحرم من خيرات كثيرة منها مناجاة ا عز وجل في الليل والناس نيام ,فأبياته في تهذيب النفس البشرية كان يأخذ من تأديب رسول ا للمسلمين, يقول الشاعر[4]:

وكم مـنّ أكلـةٍ حرمـتْ كثيـراً من الخيراتِ في طاعـاتِ مـولى

ولـــذاتٍ بخلـــواتٍ تَجلـــى بها المـولى وقـد نَاجـاه لـيلا

فالشاعر متأثر بحديث رسول ا في نَهيه عن كثرة الأكل يقول صلى ا عليه وسلم "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه,بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه,فإن كان لا محالة ,فثُلثٌ لطعامه,وثُلثٌ لشرابه,وثلثٌ لنفسه"[5].

ويستخدم الشاعر الأسلوب القصصي في ذكر قصة شفاعة الرسول يوم القيامة, يقول[6]:

---

(1) البخاري, صحيح البخاري,كتاب فضائل الصحابة برقم(3456).

(2) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص19.

(3) الشريف، عوني، ترتيب أحاديث الجامع الصغير, مكتبة المعارف,الرياض,باب الترغيب في الصدقة والنفقة,ج27/1.

(4) اليافعي,نشر المحاسن الغالية,ص152.

(5) الترمذي, سنن الترمذي, في الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل برقم(2381).

(6) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,ص132.

عليك صلاةُ ا ِ يـا ملجـأ الـورى	إذا أقبلـتْ يـوم الحِـسابِ جهـنم
ورامـوا شـفيعاً يـستغاثُ بِجاهـه	له شرف العليـاء رحـب مكـرم
وقالوا لأهل العزم في الرسل من لها	فَليس سِواكم يا أولى العـزم يعـزم
فعنهـا خليـلٌ والكلـيم تَـأخروا	وعيسى وقبـلَ القـوم نـوح وآدم
فخير الكرامِ الرسلُ عنهـا تـأخروا	أتيـتَ إليهـا بالنـدى تتقـدم

ولقد أخذ الشاعر قصة أبياته من حديث رسول ا عن شفاعته(.....وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر,قال:فيفزع الناس ثلاث فزعات,فيأتون آدم فيقولون:أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك,فيقول:أنا أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض,ائتوا نوحاً فيقول:إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا,ولكن أذهبوا إلى إبراهيم, فيأتون إبراهيم فيقول:إني كذبت ثلاث كذبات"ثم قال رسول ا "ما منها كذبة إلا ما حل بها من دين ا ولكن ائتوا موسى, فيأتون موسى فيقول :إني قد قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى,فيأتون عيسى,فيقول:إني قد عبِدت من دون ا ولكن ائتوا محمد صلى ا عليه وسلم, فيأتوني فأنطلق معهم"[1] ومما تقدم يتضح المرجعية الدينية الواسعة للشاعر موضوع الدراسة.

3. 3.4 التناص الأدبي عند اليافعي:

استحضر اليافعي بعض النصوص الشعرية,هادفاً من وراء ذلك إلى إغناء تجربته الشعرية الخاصة,وربطها بتجارب سابقيه مع تحميلها بعض صفات التجديد والاستمرارية, لقد أكثر الشعراء ذم الدنيا لزوالها وزيفها وفتنتها ,وكان لأشعار الشاعر نصيبا في هذا المجال فالدنيا عند اليافعي كالغول والسعالي في خداعها يقول[2]:

كغـولِ ذي غـول ذي خـداع	وجلِبي الأرض ركضاً,ثُم جـابي
سعى لي مع سـعالي[3] ثـم دلـي	يد الما جري بـى فـي جِرابـي

(1) الترمذي, سنن الترمذي, رقم(3602).

(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان'ج28/4.

(3) سعالي,السعلاة والسعلاء:الغول أو أنثى الغيلان,

وفي تقلب الزمان وعدم ثباته على حال يقول كعب بن زهير[1]:

ولا تدم علـى حـال تكـون بـه   كما تلـون فـي أثوابهـا الغـول

ولقد اشترك اليافعي والشافعي في تصوير الدنيا بالقبح فهي عند اليافعي عجوز سوء وجيفة, وعند الشافعي جيفة متحللة, يقول اليافعي[2]:

عجوز السوءِ سوداء الجسمِ شَوها   وحـدبا تحـت أثـوابٍ حـسان

بهـا يغتـر غـر لـم يـشاهد   عيوبـاً فـي هواهـا ذو افتتـان

ويقول كذلك[3]:

ولو جيفةُ الدنيا تفـوتُ لـسارعت   يداك إلى تُربٍ على الرأسِ سـافيا

وعند الشافعي هي جيفة, يقول[4]:

ومـا هـي إلا جيفـةُ مـستحيلة   عليها كـلاب همهـن اجتـذابها

فإن تجتنبها كنـت سـلماً لأهلهـا   وإن تجتـذبها نازعتـك كلابهـا

وفي مجال الوعظ والإرشاد يذكر اليافعي أبياتاً فيمن يفعل المحظورات ليجمل دنياه فيذهب الدين والدنيا ذاهبة لا محالة يضمنها بقول لابن ادهم[5] , يقول[6]:

بدنيا نبيع الـدين فالـدين ذاهـب   كما بيع منـزوع ودنيـا سـتُنزع

كما قَالَ رأس الزاهدين ابن ادهـم   على المقـامِ العـارفُ المتـورع

"نُرقـع دنيانـا بِتَمزيـقِ دِينِنـا   فَلا ديننا يبقـى ولا مـا نُرقـع"[7]

---

(1) بن زهير,كعب,ديوانه,تحقيق: درويش الجويدي,المكتبة العصرية ,صـيدا ,ط1, 2008م ص125.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص57.

(3) المرجع نفسه,ص26.

(4) الشافعي,محمد بن إدريس(ت204هـ)ديوان الإمام الشافعي,دار المعارف بيـروت,ط5, 2008م ص27.

(5) هو إبراهيم بن أدهم البلخي زاهد مشهور,أخذ عن كثير من العلماء مات سنة 161هـ.

(6) اليافعي,الإرشاد والتطريز,26.

(7) ابن أدهم,إبراهيم,مسند إبراهيم بن أدهم ,تأليف محمد بن إسحاق بن محمد بـن يحـي. تحقيق مجدي السيد إبراهيم, مكتبة القرآن القاهرة ج49/1.

لقد أكثر المتصوفة من تناول مقام التوكل في أشعارهم تناولات متقاربة إلى حد ما, لذلك نجد اليافعي قد تأثر بشعر ذي النون المصري (ت245هـ)وأعاد صياغته بنفس معناه وهو التنويه بأهم فائدتين عاجلتين تكتنفان المتوكل,وهما:الغنى والعز, يقول ذو النون المصري[1]:

يجولُ الغِنى والعز في كل موطنٍ ليستوطِنا قِبل امـرئ إن تـوكلا
ومن يتَوكلْ كـان مـولاه حـسبه وكان لـه فيمـا يحـاول معقِـلا

يقول اليافعي في صفات المؤمن المتوكل:إنه إذا وجد مكاناً فيه توكل استوطنا,وإن لم يجد فيه توكل راحلاً عنه[2]:

يجولُ الغْنا والعز في قلبٍ مـؤمنٍ فإن الفيا جـوف القُلـوب تَـوكلا
أقْاما فأمسى العبـد بـا ِ ذاعنـاً عزيـز وإن لـم يلقيـاه تَـرحلا

وفي مجال الخشوع والتضرع والبكاء عند أداء الفرائض المقدسة وتعفير الخدود بالثرى لشدة الشوق للاماكن المقدسة, أو للاستغفار من الذنوب اشترك الشعراء في ذلك, فالشاعر يشتاق للأماكن المقدسة في أبياته ويشتاق لتعفير خده بثراها والبكاء عندها, يقول[3]:

لرؤية بعدى أخرى حسن نور خبا من صار للحسن والإحسان منتحبا
أعود أروي صدى الأشواق منتحباً أعفر الخد إن لاحتّ قبـاب قُبـا
أسقي الربى دمعي المطاول في الطلل

ولقد أكثر الشعراء النظم في هذا المعنى ونذكر على سبيل المثال لا الحصر قول ابن الرومي[4]:

وإذا باشـ ـ ـ ـروا الثَـ ـ ـ ـرى بالخـ ـ ـ ـدودِ الـ ـ ـ ـضوارع
واسـ ـ ـ ــتهلتْ عيـ ـ ـ ــونهم فائـ ـ ـ ــضات المـ ـ ـ ــدامع

---

(1) أبو نعيم, حلية الأولياء وطبقات الأصفياء, 372/9.
(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج195/1.
(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص227.
(4) ابن الرومي,أبو الحسن على بن العباس جريح,ديوان ابـن الرومـي تحقيـق: حـسين نصار,مطبعة دار الكتب ,مصر,1977م,ص138.

وللشاعر أبيات في الحب الإلهي يضمنها شطر بيت لامرئ القيس وهو يطالب بأن نأخذ بحبه الإلهي وندع قول امرئ القيس وحبه الدنيوي, يقول[1]:

وولتك ملك الكون والـدّهر أخْـدمت غُلاماً وقالت ول من شِئت واعـزل

فَخُذْ ذا ودع قولَ امرئ القيس مغويـاً "قِفا نَبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنـزل"

يقول امرئ القيس[2]:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلـي بسقط اللوى بين الدّخول فَحومـل

لقد تأثر شعراء الصوفية بأشعار السابقين في تشبيه محبوباتهم بالمها والظبية لأنهما ترتبطان في نفوسهم بالحياة والجمال, يستخدمهما في غزله الرمزي, يقول[3]:

لها جيد ريمٍ شـبه إبريـق فِـضةٍ وعين المها ترمي بِها داني الردى

إذا مارستْ لم تُخط قـطْ مقـاتلا ولا قوداً يعطـى ولا قتلهـا يـدا

ولقيس بن الملوح العديد من الأبيات في تصوير المحبوبة بالظبية ,من ذلك قوله[4]:

فعيناكِ عيناهـا وجِيـدكِ جِيـدها ولكن عظْم الـساق منـكِ دقِيـق

وقد تحدث شعراء الصوفية عن القتل في الحب الإلهي,وعدوه من أسمى المقاصد, والشاعر تناوله, بقوله[5]:

قَتيل الهوى في مذهبِ الحب والفقر بِلا عوضٍ حاشَاه من طلبِ الأجـر

وتناول ابن الفارض القتل في الحب الإلهي,مستخدما فيه الرمز الغزلي, يقول[6]:

وقُل لقتيل الحـب: وفيـتَ حقّـه وللمدعي:هيهات ما الكحلُ كالكحل

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص82.

(2) امرئ القيس ديوان شـرح محمـد الاسـكندراني ونهـاد رزق,دار الكتـاب العربـي 2007م,ص15.

(3) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج84/4.

(4) فرحات,يوسف، ديوان مجنون ليلى ,دار الكتاب العربي بيروت,2008م ص142.

(5) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج62/4.

(6) اليوسف,يوسف سامي,ابن الفـارض شـاعر الحـب الإلهـي,دار الثقافـة مـصر,ط1 1994م,ص65.

وفي الحديث عن العلم والحرفة يقول أبو العـلاء أحمـد بـن عبـد ا التنـوخي المعري(ت449هـ) [1]:

لا تطلبن بغير حظ رتبة	قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما	هذا له رمح وهذا أعزلُ

يقول اليافعي في المعنى نفسه[2]:

لو كان بالآلاتِ حَظٌ يحصل	والسعد يأتي والعطايا تُجزل
ما كان في عالي المنازل راهج	أو لم يجزها دون ذلك أعزل
لكنه من دونه قد حازها	في شرحهِ البدر المتمم ينزل

3. 5 الموسيقا الشعرية:

إن أهم ما يميز الشعر عن النثر هو الموسيقى, فالموسيقى هي العنصر الأبرز لإظهار الشعر عن سائر الفنون الكلامية, يقول الجاحظ بهذا الصدد:"الصوت هو آلة اللفظ ,والجوهر الذي يقوم به التقطيع,وبه يجود التأليف ,ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"[3].

ويرى أرسطو"أن الدافع الأساسي للشعر يرجع إلى علتين: أوّلهما غريزة المحاكاة والتقليد ,والثانية غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم"[4].

وللشعر مقومات يقوم عليها "الشعر يقوم على أربعة أركان وهي: اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر"[5] قال ابن طباطبا في تعريفه للشعر بأنه :"كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم بما خص به من النظم

(1) المعري,أبي العلاء أحمد بن عبد ا ,لزوم ولا يلزم, تنقيح، وحيد كبابة,دار الكتاب العربي, 2004م,ص163.

(2) اليافعي,عبد ا بن أسعد ,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج53/3.

(3) الجاحظ ,أبو عثمان عمر بن حجر(ت255هـ)البيان والتبيين,تحقيق,عبد السلام محمد هارون ,دار الجيل,بيروت,لبنان,1: 79.

(4) أنيس,إبراهيم ,موسيقى الشعر,مكتبة الأنجلو المصرية,القاهرة ط5, 1972م, ص14.

(5) ابن رشيق,العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, ص119.

الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق"[1] وعد النقاد القدماء الوزن من أعظم أركان الشعر, الذي تبنى عليه موسيقى القصيدة العربية ,فإن (ابن خلدون)جعل الوزن والقوافي أساساً من أسس الشعر وأضاف إليه عنصر الخيال: "الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف,المفصل بأجزاء متفقه في الوزن والروي"[2], إن موسيقى الشعر تشمل كل ما يتعلق بالبحر والقافية وأصوات الحروف والكلمات يقول حسني يوسف:"وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من جرد القصيدة,واكتشف لها أنماطاً موسيقية عن المحتوى الشعري"[3].

وتتمثل الموسيقى الشعرية في إطارين أساسيين:

الأول: التوافق الإيقاعي الذي يمثِله الوزن

والثاني: التوافق الصوتي,الذي يتمثل في تناسق مخارج الحروف في الكلمة والجملة والبيت الشعري

ويتمثل هذا التوافق الصوتي في مظهرين:

الأول : توافق صوتي يحاول فيه الشاعر اختيار كلمات بعينها ليحدث بها جناساً صوتياً

والثاني: توافق صرفي ,هو الذي يتحقق من خلال ما يسمى بالإيقاع الداخلي للكلمات الذي يتمثل في توافق الوزن الصرفي للألفاظ في البيت[4].

يقول رجاء عيد:" والموسيقا في الشعر, لديها قدرة في تجسيد الإحساس المستكن في طبيعة العمل الشعري نفسه مع قدرة الشاعر على ربط بنائه الفكري ملتبساً ببنائه الموسيقي , الأمر الذي يولد بينهما ترنيمة متحدة ليست نتاج النغم

---

(1) ابن طباطبا, عيار الشعر, ص9.

(2) ابن خلدون,عبدالرحمن بن خلدون المغربي العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر,دون تحقيق,دار الكتـاب المـصري 1999م ص106.

(3) يوسف,حسني عبد الجليل ,موسيقى الشعر العربي ,الهيئة العامـة المـصرية للكتـاب 1989م, ج1 وص9.

(4) المرجع نفسه,ص12.

الموسيقي وقدرته على التجديد الذي يجعلنا ننتبه إلى الفكرة,بل لابد من انصبابه على ماهية العمل الفني كله,متوائماً مع حركة الاتساق بين الموضوع الشعري ونغمة الموسيقا"[1].

3. 5. 1 الموسيقا في شعره:

عمد اليافعي إلى اختيار الألفاظ السلسة الرقيقة ,القريبة لفهم العامة,الخالية من التعقيد مما يضفي على البيت جرساً موسيقياً عذباً مأنوساً, يقول الشاعر[2]:

قِفَـــا حـــدثاني فـــالفؤاد غليـــلُ   عسى منه يشفى بالحـــديثِ عليـــلُ
أحاديثُ نجـــدٍ عللانـــي بـــذكرها   فقلبـــي إلـــى نجـــدٍ أراه يميـــلُ

ويقول أيضاً[3]:

تبارك من شكر الورى عنه يقصر   لكون أيادي جودِهِ لـــيس تُحـــصر

لقد استطاع الشاعر أن يصطنِع موسيقى عذبة باستخدام أساليب متعددة منها ميله إلى تكرار الحروف,حيث يستخدم في تراكيبه ألفاظاً متشابهة الأحرف,مستغلاً موسيقى الحروف,ليكسب التراكيب إيقاعاً ونغماً موسيقياً جميلاً, من ذلك تكراره لحرف (الراء)في قوله[4]:

ويرتـــاح شـــوقاً للأحبّـــةِ واللقـــا   وخديهِ من فـــرطِ الغَـــرام يعفـــر

ويلجا الشاعر إلى تكرار (السين) بقوله[5]:

عجوز السوء سودا الجسمِ شـــوها   وحـــدبا تحـــت أثـــوابٍ حـــسان

ونلاحظ كيف استخدم تكرار(النون)بقوله[6]:

كم ذا تَمنى المنى في ربما وعسى   ممن إذا رمتُ منه اللين زاد قـــسا

---

(1) عيد ,رجاء ,التجديد الموسيقي في الشعر العربي,منشاة معارف الإسكندرية,مصر ,ط2, 1978م,ص9.
(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص223.
(3) المرجع نفسه,ص279.
(4) المرجع نفسه,ص284.
(5) المرجع نفسه,ص57.
(6) المرجع نفسه,ص228.

ويكرر حرف الهاء[1]:

إن يجهلَ القوم فالهيجاء تَعـرفُهم   هم هم لهم هان إيـراد وإصـدار

ويحشد البيت بحرف (الحاء) ليستغل موسيقاها بقوله[2]:

ونَاحوا وساحوا ثُم فَاحوا بنَـشرها   عبيراً ومكتـوم المحبـةِ بـاحوا

ويكرر اليافعي حرف العطف (الواو) مما يعطي للأبيات موسيقى تقـسيميه جميلـة بقوله[3]:

وصوتُ ربابٍ ثم عين المها لهـا   وجِيـد غَـزالٍ كـاللجين طويـلُ

وخَصر دقيقٌ غصن بانٍ شَـبيهها   وساقٌ صـــقيلٌ كالرخامِ َجليلُ

ويستخدم تكرار الأسماء والأفعال ليعطي البيت موسيقى عذْبة. فهاهو يكـرر اسـم الإشارة واسم الوصل في قصيدة كاملة, منها[4]:

هذا النبي الذي سِر الوجــودِ بِهِ   هذا الذي من جميع الخَلقِ مختـار

هذا الذي قد سرى فوق البراق لـه   وصلٌ وقد أسبلت بالليـل أسـتار

ويكرر النداء, بقوله[5]:

فيا أسفا يا حـسرتا يـا مـصيبتا   ويا ضيعةَ الأعمار سوق المواسمِ

ولم يكتف اليافعي بتكرار الحروف والأسماء فقد استخدم تكرار الأفعال, فيكرر فعل الأمر,يقول[6]:

وداوِ لسقْمِ القلبِ واعمـر خَرابـه   بدهن رياضـاتٍ وتـوبٍ معجـل

وأحرق بنار الحزن أشجار خبثـهِ   ومن سيل دمع عينٍ أوساخه أغسل

ويستغل الشاعر التراكيب لتقوم بما تحمل من تقـسيم صـوتي,بتـصوير المعنـى وتجسيده,ملائماً بين التقسيم اللفظي ,والتصوير المعنوي, مستفيداً من تقسيم الأصوات

---

(1) اليافعي, الإرشاد والتطريز,ص223.

(2) المرجع نفسه, ص275

(3) المرجع نفسه,ص223.

(4) المرجع نفسه,ص221.

(5) المرجع نفسه,ص49.

(6) المرجع نفسه,ص 56.

من الحروف والكلمات بين صدر البيت وعجزه تقسيماً ينتج عنه توازن صوتي من خلال الموسيقا للبيت الشعري, يقول[1]:

فأضحوا سكارى ثُم أمسوا فأصبحوا　　　مدى دهرهم من سكرهم سكِر الدهر

ويستخدم اليافعي تقنية الترديد وقد عرفها ابن أبي الإصبع "بأن يعلق المتكلم لفظـة من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر"[2] , يقول[3]:

إلى ا　بـا ـ احتـساب نفوسـهم　　　وا　من في ا ـ كـان احتـسابه

واستخدم التطريز[4] ليضفي على البيت موسيقى داخلية, يقول[5]:

أحن ارتياحـاً للمزابـل لا إلـى　　　قُصورٍ وفرشٍ بـالطراز توشـح

وأمـنح ودي للمـساكين صـافياً　　　أجالسهم والهجـر للغيـر **أمـنح**

ولجا الشاعر للتركيب المعكوس[6] , بقوله[7]:

بفتق لرتقٍ في غـوامض مـشكلٍ　　　**ورتق لفتقٍ** في طِعـان مخاصـمِ

والشاعر يوظف العديد من التقنيات ليخرج لنا لوحة موسيقية,يتظـافر فيهـا عذوبة اللفظ مع حسن المعنى ,يقول[8]:

من بان عن ربع من يهواه والطلل　　　فَقَد تَعـرض للتهمـاتِ والعـذل

لما نأيت عن الأحباب مع وجلـي　　　أضحت تلوم ذواتُ الحِجل والحجل

من كل خودٍ غزالٌ الغزل والغزل

---

(1) اليافعي, الإرشاد والتطريز,ص83.

(2) يوسف, موسيقى الشعر العربي,ص179.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص55.

(4) وهو أن تقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الـوزن كـالطراز فـي الثوب,يوسف, موسيقى الشعر العربي,ص174.

(5) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص66.

(6) وهو نوع من المقابلة المعنوية والتركيبية,يوسف, موسيقى الشعر العربي,176

(7) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص48.

(8) المرجع نفسه, ص226.

6.3 الأوزان الشعرية عند اليافعي:

إن الإطار الموسيقي للقصيدة العربية "قام على أساس الوزن والقافية وقد كان الخليل بن أحمد أول من جرد القصيدة العربية وأوجد لها أنماطاً موسيقية مستعملة عن المحتوى الشعري,ووجد أن هذه الأنماط الإيقاعية تقع على خمسة عشر بحراً"[1] ولقد أشرنا سابقاً إلى أهمية الموسيقى في العمل الشعري,ولولا الوزن لما اختلف الشعر عن النثر.وابن رشيق عد الوزن"أعظم أركان الشعر,أولاها به خصوصية, وهو مشتمل على القافية وجالب لها بالضرورة"[2] ومن خلال جمعي لشعر اليافعي اتضح لي أن الشاعر نظم أبياته الشعرية على عدة أبحر ولكنه أكثر من ثلاثه أبحر من بحور الشعر العربي الخليلية ,فقد أكثر من استخدام بحر الطويل في قصائده إذ أنه نال السيادة, وهذا ليس بغريب إذ أن معظم الشعراء طرقوا البحور الطويلة النفس التي غلبت على شعر الجاهليين,يأتي البحر الطويل في المرتبة الأولى,يقول عبد ا الطيب في ذلك:"لأنهم وجدوا فيه مجالاً أوسع لرواية القصص والأساطير ونظم الشعراء فيه يتناسب مع جلال الماضي"[3] لقد وجد اليافعي في البحر-الطويل- المجال الطبيعي لمقولته الشعرية لما يوفره من طول النفس, يقول[4]:

تَخلفتُ يوم البـين عـنهم بِجثتـي وراحوا بقلبي يوم بـانوا أحِبتـي

ونلاحظ أن اليافعي قد نظم معظم قصائده على البحر الطويل يقـول محمـد النويهي في ذلك:"إن بحر الطويل بإيقاعه الهادئ نـسبياً يلائـم العاطفـة المعتدلـة الممتزجة بقدر من التفكير التأملي سواء أكانت حزناً هادئاً لا صراخ فيه,أم كانـت سروراً هادئاً لا صخب فيه,ويقع على الأذن وقعاً بطيئاً, لأن كل شطر فيه يتكون من

---

(1) يوسف, موسيقى الشعر العربي,ص9.

(2) ابن رشيق,العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده,1: 138.

(3) المجدوب,عبد ا الطيب,المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها,تقديم طه حـسين,دار الفكر,بيروت,ج1 ,ط2, 1970م, ص398.

(4) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج235/4.

مقاطع قصيرة ,وعشرة طويلة, أو من خمسة قصيرة وتسعة طويلة فـي العـروض المقبوضة"[1].

يقول على البحر الطويل[2]:

وسـبحانك اللهـم ربـاً مقدسـاً   لك الدهر كـل الكائنـات تُـسبح

ويقول[3]:

قتيلُ الهوى في مذهبِ الحب والفُقر   بلا عوضٍ حاشاه من طالبِ الأجـر

يقول[4]:

إذا الغَانِيات البيض يوماً تَفَـاخَرت   بألوانِهـا,فـاحكُم فأنـتَ خَبيـر

أما البحر الثاني فهو بحر البسيط من حيثُ الوفرة عند اليافعي,وبحر البـسيطِ قد لا يكون في سكناته وحركاتهِ كالبحر الطويل من حيث السعةُ واستيعاب كثيرٍ من الأغراضِ إلا أنه:"أكثر تميزاً عن غيرهِ من أوزان الشعر العربي,فموسـيقاه هادئـةٌ سيالةٌ, وإذا كان إيقاعه واضحاً.وكأنه استبقى النبرة الضعيفةَ فقط علـى كـل مـن المقطعين الآخرين في (مستفعلن) و(فاعلن)"ثم قال:"إنـه ذو وزنٍ مركـبٍ ثلاثـي فثنائي:واحد اثنين ثلاثةٌ,واحد اثنين" [5] بنـى اليـافعي علـى هـذا البحـر بعـض قصائدهِ,منها[6].

بشراك بشراك هذا الربع والـدار   وهم إلى الوصل بعد الهجر قد داروا

ويقول[7]:

ونَـاعم فاقـدٍ إلفـاً يـذكرنا   نجداً وأحداً وسلعا والصفا ومنـى

---

(1) النويهي,محمد,(د.ت)الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه, الدار القومية للطباعـة والنشر,القاهرة ,ج61/1.

(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج362/4.

(3) المرجع نفسه,ج4/ 61.

(4) المرجع نفسه,ج4/ 76.

(5) عياد,شكري، موسيقى الشعر العربي,دار المعرفة,القاهرة,ط1 1978م,ص92.

(6) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص220.

(7) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج3/ 188.

ويقول[1]:

إن كُنت بالناس مـشغولاً فـدارهم	أو كنت بـا ـ ذا شـغل وهّمـات
فـلا تُعلـق سـوى بـا ـ ذائقـة	إن المهــيمن كافِيــك المهمــاتِ

ولليافعي مخمسة نظمها على البحر البسيط[2]:

من بان عن ربع من يهواه والطلل	فقد تَعـرض للتهمـاتِ والعـذل
لما نأيت عن الأحباب مع وجلـي	أضحت تلوم ذوات الحجل والحجِل

من كل خودٍ غزال الغزل والغزل

ومما سبق سنذكر ربط حازمٍ القرطاجني بين بحر الطويل والبسيطِ فقال"تحت باب ,معلم دالْ على طرق العلم بمقادير تناسب الأوزان, وما يسوغُ فيها من التغايير وما لا يسوغُ على الوجه المختار"أوزان الشعر منها متناسب تام التناسبِ, متركـب التناسبِ متقابلةٌ متضاعفةٌ' وذلك كالطويل والبسيط"[3]. وكـذلك د.عبـد ا الطيـب صاحب كتاب المرشد في فهم أشعار العرب وهذا ما أشار لـه د. شـكري عيـاد بقوله"فالطويل عند حازم تجد فيه أبداً بهاء وقوة وتجد للبسيط سباطةً وطلاوةً(وعنـد الطيب) الطويلُ والبسيطُ أطول بحور الشعر العربي وأَعظمها ُأبهةً وجلالةً"[4].

ولليافعي نظم في بحر الوافر وهو بحر سهل لين يقول عبدا الطيب فيه:"في الوافر تدفق استمده من أصله بحر المتقارب, إلا أن نغمه ينبتـر فـي آخـر كـل شطر...وهذا الانبتار شديد المفاجأة, وله أثر عظيم جداً في نغمة الوافر- إذْ يكْسِبها رنة قويةً ليست في المتقاربِ, وهذه النغمةُ القويةُ بالطبع تسلبه النقص,بأنها ترشـحه للأداء العاطفي سواء أكان ذلك في الغضب الثائر والحماسة أم في الرقـة الغزليـة والحنين"[5] من نظم اليافعي على الوافر, قوله[6]:

---

(1) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقظان,ج328/2.

(2) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص226.

(3) القرطاجني, منهاج البلغاء وسراج الأدباء, ص259.

(4) عياد,شكري، موسيقى الشعر العربي,ص151.

(5) المجدوب,المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها,232/1.

(6) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص47.

بنفسي من لـدى الهيجـا يعـاني جهاد النفس مع صـدق الطعـان
فيعلو الـرأس يـاعلوى ويـروي دمـاً ياهنـد ماضـي الهنـدوان

ويقول على بحر الوافر في تصوير الدنيا[1]:

عجوز السوءِ سوداء الجسمِ شَوها وحـدبا تحـت اثـوابٍ حـسان
بهـا يغتـر غـر لـم يـشاهد عيوبـاً فـي هواهـا ذو افتتـان

ولقد نظم اليافعي على بحر الرجز, يقول[2]:

لو كان بـالآلات خَـطٌ يحـصل والسعد يـأتي والعطايـا تُجـزلُ
ما كان في عالي المنـازل رامـح أو لم يجزهـا دون ذلـك أعـزلُ

ومما تقدم يتضح أن اليافعي استعمل البحور الشعرية طويلة النفس التي تتسم بالفخامة والأبهة وهذا يرجع إلى طبيعة مواضيعه الشعرية الجادة والرصينة.

3. 7 القافية في شعره:

اهتم العروضيون ببحث القافية وأنواعها إلى جانب اهتمامهم بالبحور, وكانوا يشترطون في الشعر أن يكون قولاً موزوناً مقفى دالاً على معنى ,وعدت القافية ركناً بارزاً من أركان الشعر العربي, يقول ابن رشيق القيرواني في ذلك:"والقافية شريكة الوزن بالشعر,ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية"[3],وقال أيضاً:"واختلاف الناس في القافية, ماهي؟ فقال الخليل: القافيةُ من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبلِهِ, مع حركةِ أحرف الذي قبل الساكن, والقافية على هذا المذهب تكون مرة بعض كلمة , ومرة كلمة, ومرة كلمتين"وقال ابن رشيق"وسميت القافية قافية لأنها تقفو أثر كل بيتٍ,وقال قوم :لأنها تقفو أخواتها"[4].

ويجب أن تكون القوافي :"عذبة الحروف سلسة المخارج, وأن يتباعد بها عن المعاني المشنوعة والألفاظ الكريهة, ولا سيما ما يقبح من جهة ما يتفاءل به ,و إذا

---

(1) الإرشاد والتطريز,ص57.
(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقضان,ج53/3.
(3) ابن رشيق,العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده,151/1.
(4) المرجع نفسه,154 .

جاء ذلك في القافية جاء في أشهر موضع وأشده تلبساً بعناية النفس وبقيت النفس متفرغة لملاحظته والاشتغال به ,وإن لم يعقها عنه شاغل"[1].

ويقول الجاحظ في وجوب أجادة القافية :"إن حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت"[2].

ويقول إبراهيم أنيس في القافية:"ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة ,وتكررها هذا يكون جزءا هاماً من الموسيقى الشعرية,فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع,يمثل هذا الترددِ الذي يطرق الأذن في فترات زمنية منتظمة, وبعد عدد معين من المقاطع ذاتِ نظامٍ خاص يسّمى بالوزن"[3].ويقول أيضاً:"فمن السهل إن تقول أن القافية لا يصح أن تقل عن عدد كذا من الأصوات التي تتردد في أواخِر الأبيات, وليس من السهل أن تزعم بأن عدد أصوتها لا يزيد على قدرٍ معين, لأنه لو أمكن أن تتكون أصوات نصف شطر دون إخلال بالمعنى ودون تكلف أو تعسف لصح أن تُسمى كل تلك الأصوات المكررة قافية"[4].

ومن خلال دراستي لشعر اليافعي لاحظت أن حروف الروي التي شاعت في شعره هي اللام والراء والدال, والميم ,تليها التاء والباء,والهاء والعين وبحكم أن القافية جزء لا يتجزأ من المعنى, فقد شاعت مثل هذه الحروف بشكل كبير في أشعار الشعراء العرب على مر العصور, ويرى د.على المحاسنة :"بأن كثرة الشيوع أو قلته لا تُعزى إلى ثقلٍ في الأصواتِ أو خفةٍ بقدرِ ما تُعزى إلى نسبةِ ورودها في آخر كلماتِ اللغةِ ....وإن الربطَ بين الروي والموضوع مسألةٌ ذوقيةٌ بالدرجةِ الأولى"[5].

---

(1) القرطاجني, منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص276.

(2) الجاحظ , البيان والتبين, ج247/1.

(3) أنيس أبراهيم,موسيقى الشعر, ص246.

(4) المرجع نفسه,247.

(5) المحاسنة.علي ارشيد, "شعر الرثاء في حروب الردة ,دراسة موضوعية وفنيـة. مجلـة مؤتة للبحوث والدراسات م/8, ع/1993/2م ص/119- 166.

لقد أكثر اليافعي من استخدام حروف الذلاقة في شعره(اللام,الراء,الميم) وقـد حدد ابن جني حروف الذلاقة بأنها ستة:"اللام والراء والنون والفاء والباء والميم"[1] "ويبدو أن كلمة (الذلاقة) هنا لا تعني أكثر من معناها الشائع المعروف وهو القـدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثُم فذلاقة اللسان –كما نعلم- هـي جودة نطقه وانطلاقه في أثناء الكلام. ولما كانت هذه الحروف الـستة هـي أكثـر الحروف شيوعاً في الكلام العربي أطلق عليها حروف الذلاقـة دون النظـر إلـى مخارجها أو صفاتها أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية"[2] وكثـرة اسـتخدام اليافعي لحروف الذلاقة يرجع إلى وضوحها الصوتي, ومناسبتها لأغراضه الشعرية التي تتسم بالجدية والبعد عن الهزلية يقول حازم القرطاجني:"ولما كانـت أغـراض الشعر شتى,وكان فيها ما يقصد به الجـد والرصـانة ومـا يقـصد بـه الـصغار والتحقير,وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس, وإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ,وإذا قصد فـي موضوع قصداً هزليّاً أو استخفافياً وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بمـا يناسه من الأوزان الفائشة القليلة البهاء, وكذلك في كل مقصد"[3].

والشاعر استخدم روى اللام والميم, لسهولة مخارجها وكثرة أصـولها فـي الكلام[4],وهاهو يقول في مجال الحث على العلم[5]:

ففي العلمِ مصباح وفي الجهل ظُلمةٍ تكون خِلافَ الاهتـداء وضـلائل

وفي بيان نعيم الجنة يختار روى اللام لمى فيه من عذوبه وحلاوة[6] , حيث يقول[7]:

ألا يـادار خُلْـدٍ طِبـ ـ ـت داراً جمعت الحسن مـأمون الـزوال

---

(1) أنيس,إبراهيم,الأصوات اللغوية ,دار النهضة ط1 ,1961م 3م, ص79.

(2) المصدر نفسه,ص80.

(3) القرطاجني, منهاج البلغاء وسراج الأدباء,ص109.

(4) المجدوب, المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها,48/1.

(5) اليافعي, مرآة الجنان وعبرة اليقضان,ج255/3.

(6) العبيدي,جمال نجم, لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين, ص310.

(7) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين,233.

قُصور ثـم حـور ثـُم خَيـر ـمـداما غيـر مجـذود النـوال

ويستخدم اللام في تغزله[1]:

بخودٍ لها شعر إذا هـي أرسـلتْ كسا البدر جعد كـالظلام رجيـلُ

واستخدم روي (الميم) في العديد من قصائده[2]:

يا خير داعٍ دعا في خيـرةِ الأمـمِ بخيـر ديـنٍ ومعبـودٍ وملتـزمِ

ومن روي الراء قوله[3]:

قتيلُ الهوى في مذهبِ الحب والفَقر بلا عوضٍ حاشاه من طلبِ الأجر

واستخدم الشاعر روى النون المكسوة التي تضفي على الأبيات نغمة تعكـس حزن الشاعر على المغتر بالدنيا[4]:

عجوز السوءِ سودا الجسمِ شَـوها وحدبا تحـتَ أثوابٍ حسـ ـ ـان

واستخدم الشاعر روي (الطاء) وهو من القوافي الحوش[5] في قصيدة واحدة[6]:

أيا طالباً علم التواريخ لـم تـشن بإخلال تفـريط وإمـلال إفـراط

وكذلك استخدم روي (الفاء)وهو حرف صعب جداً في قوافي الشعر العربي[7] ,يقول[8]:

ملوك البرايا ليس يشقى جليـسهم لهم بيض راياتِ العلا في المواقفِ

وطرق كذلك حرف القاف ,وهذه القافية متحامٍ عنها[9] , يقول[10]:

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,223.

(2) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقضان,ج269/4.

(3) المرجع نفسه,ج61/4.

(4) اليافعي,الإرشاد والتطريز ,57.

(5) المجدوب,المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها, 62/1.

(6) اليافعي,مرآة الجنان وعبرة اليقضان, ج7/1.

(7) المجدوب,المرشد إلى فهم أشعار العرب, 49/1.

(8) اليافعي,روض الرياحين في حكايات الصالحين, 499.

(9) المجدوب,المرشد إلى فهم أشعار العرب, 47/1.

(10) اليافعي,روض الرياحين ,ص12.

الا يا غواني مـن أرادت سـعادة تَوقي عذاباً بالنسا صار محـدقاً

ويستخدم الشاعر روي الياء في الدعاء لما فيه من طول النفس فهو يبث فيه حزنه وخوفه[1]:

إلهي هـا أنـا العاصـي خليـا من الإحـسان حـاوٍ للمـسـاوي

فـلا فِعلـى لأقـوالي مناسـب ولا قــولي لأفعــالي مــساوي

فـسامح مـذنباً وارحـم ضعيفاً وآنس موحشاً فـي القبـر ثـاوي

فالشاعر يظهر في الأبيات أعلى قمم الحزن والألم والخوف والقلق من عذاب الله عز وجل, فهى تظهر خلجات الشاعر الوجدانية يقول شوقي ضـيف فـي هـذا الصدد :"كانت موسيقى الشعر تشبع فينا حاجات عميقة إذ تعيد إلى الأوتار المشوشة في قيثارة حياتنا الوجدانية نسقها الطبيعي, ومن أجل ذلك اتخذتها الإنسانية من قديم وسيلتها إلى التعبير عن عالمنا الوجداني تعبيراً تنتظم نـسبه النغميـة فـي توافـقٍ عجيب,....) [2].

وهاهو الشاعر يستخدم روي الحاء الذي يدل على قوة الانفعال والسخط الذي يحاول الشاعر إخراجه من مكنونات نفسه[3].

تكالبتَ في تجميع سحت حطامهـا فتجري ولا تَدري تكـد وتَكـدح

وتَحرمه المـسكين بخـلاً لحبـه وتبذلُــه للأغنيــاء وتَمــنح

يقول القرطاجني:" القوافي حوافز الشعر,عليهـا جريانـه واطـرداه وهـي مواقفه,فإن صحت ,استقامت جريته وحسنت مواقفه ونهاياته"[4].

---

(1) اليافعي,الإرشاد والتطريز,ص98.

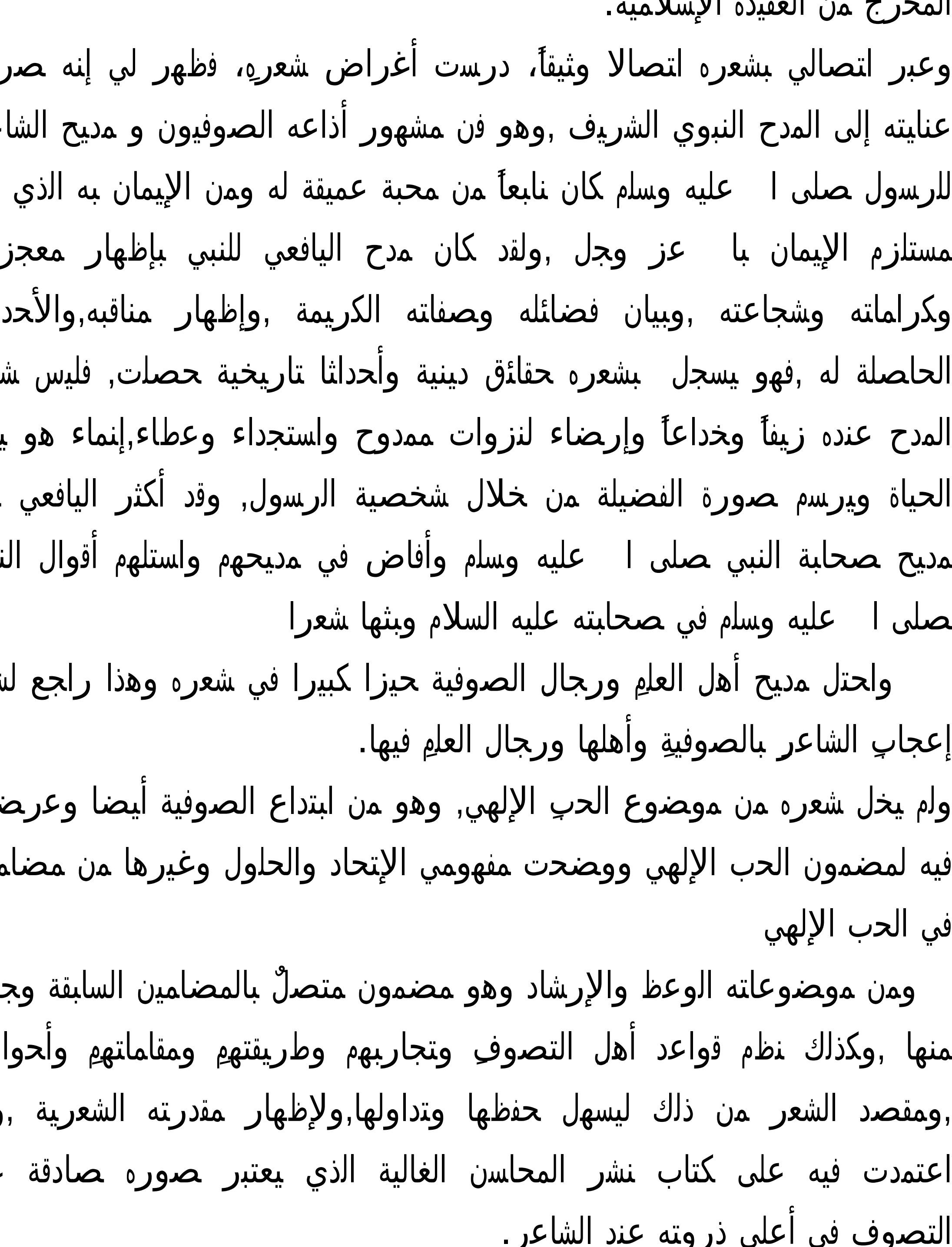
(2) ضيف, فصول في الشعر ونقده, ص28.

(3) اليافعي,الإرشاد والتطريز,78.

(4) القرطاجني, منهاج البلغاء وسراج الأدباء, ص271.

الخاتمة

حاولت في هذا البحث أن أدرس حياة شاعر عاش في العصر المملوكي، حيث كان لهذا العصر أهمية في تاريخ أدبنا العربي ففيه وسعت حركة التدوين والتأليف، وبناء على ذلك يعد اليافعي مؤرخاً مؤلفاً وشاعراً صوفياً، ولقد قمت بتوضيح نشأته وحياته، ولقد وجدته صوفياً معتدلاً لم يصل لحد الشطح والزلل المخرج من العقيدة الإسلامية.



وعبر اتصالي بشعره اتصالا وثيقاً، درست أغراض شعرهِ، فظهر لي إنه صرف عنايته إلى المدح النبوي الشريف ,وهو فن مشهور أذاعه الصوفيون و مديح الشاعر للرسول صلى ا عليه وسلم كان نابعاً من محبة عميقة له ومن الإيمان به الذي هو مستلزم الإيمان با عز وجل ,ولقد كان مدح اليافعي للنبي بإظهار معجزاته وكراماته وشجاعته ,وبيان فضائله وصفاته الكريمة ,وإظهار مناقبه,والأحداث الحاصلة له ,فهو يسجل بشعره حقائق دينية وأحداثا تاريخية حصلت, فليس شعر المدح عنده زيفاً وخداعاً وإرضاء لنزوات ممدوح واستجداء وعطاء,إنماء هو يفيد الحياة ويرسم صورة الفضيلة من خلال شخصية الرسول, وقد أكثر اليافعي من مديح صحابة النبي صلى ا عليه وسلم وأفاض في مديحهم واستلهم أقوال النبي صلى ا عليه وسلم في صحابته عليه السلام وبثها شعرا

واحتل مديح أهل العلمِ ورجال الصوفية حيزا كبيرا في شعره وهذا راجع لشدةِ إعجابِ الشاعرِ بالصوفيةِ وأهلها ورجال العلمِ فيها.

ولم يخل شعره من موضوع الحبِ الإلهي, وهو من ابتداع الصوفية أيضا وعرضت فيه لمضمون الحب الإلهي ووضحت مفهومي الإتحاد والحلول وغيرها من مضامين في الحب الإلهي

ومن موضوعاته الوعظ والإرشاد وهو مضمون متصلٌ بالمضامين السابقة وجزءٍ منها ,وكذلك نظم قواعد أهل التصوفِ وتجاربهم وطريقتهمِ ومقاماتهمِ وأحوالهمِ ,ومقصد الشعر من ذلك ليسهل حفظها وتداولها,ولإظهار مقدرته الشعرية ,وقد اعتمدت فيه على كتاب نشر المحاسن الغالية الذي يعتبر صوره صادقة عن التصوف في أعلى ذروته عند الشاعر.

أما من الناحية الفنية، فقد التزم اليافعي، بناء القصيدة العربية التقليديـة، وإن كان في أغلب قصائده يدخل بالغرض الرئيس الذي من أجله أوجد قـصيدته، ولقـد أجاد الشاعر حسن التخلص من غرض إلى آخر وخواتم قصائده كانت تسير علـى وتيرة واحدة هي الصلاة على النبي صلى ا عليه وسلم، ولقد بنى اليافعي صـورة من مظاهر الطبيعة ومن مشاهد الحياة اليومية.

وكانت لليافعي مقدرة كبيرة في تشكيل الصورة الشعرية في نظمه الـشعري، واهتمت الدراسة بالرمز الصوفي عنده, وكشفت بعض الغموض الذي اكتنف شعره الرمزي الخاص بالخمرة ,والمرأة, والسر الصوفي.

واهتمت الدراسة كذلك بموضوع التناص, ظاهرة أدبيه ودينيه وكشفت عـن أشعار كثيرة تقاطع اليافعي مع غيره من الشعراء، وأما الاستدعاء الـديني، فتمثـل بالتأثر بألفاظ القرآن الكريم وآياته، وبالحديث النبوي الشريف وتسخير معانيه الجليلة لخدمة أغراضه الشعرية.

وفي دراستي للخصائص الفنية في شعره، عرضت للموسيقى الشعرية فـي ديوانه, فوجدته يحفل بموسيقى عذبة، تراءت في أوزانه وقوافيه الشعرية، حيث كان يميل إلى النظم بالبحور طويلة النفس الرصينة.

ولغته كانت سهلة ميسرة واضحة, وإن كان يتخللها بعض الألفـاظ العاميـة والألفاظ الخارجة أحياناً عن الرقي الأدبي اللفظي.

ومن الصعوبات التي واجهتني شعر الـشاعر المهمـل مـن النـاحيتين التـشكيلية والعروضية.

وأخيراً أسأل ا العلي القدير التوفيق والسداد إنه نعم المولي والنصير.

المراجع

إبراهيم، منصور محمد(1999م) **الشعر والتصوف**،دار الأمين للنشروالتوزيع،المغرب, ط1.

ابن أدهم، إبراهيم، **مسند إبراهيم بن أدهم**، تأليف محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، تحقيق مسجد السيد إبراهيم, دار القرآن، القاهرة ج1.

ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد،(ت611هـ)(1980م) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تقديم أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر القاهرة، القسم الثالث.

ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الجزري(ت 630هـ)(1966م) **الكامل في التاريخ** ، دار صادر، بيروت,ط1.

ابن أبي طالب ,علي (2007م)، **ديوان أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين الأمام علي بن أبي طالب جمع وشرح سالم شمس الدين**، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت,ط14.

ابن ثابت,حسان (1978م) **ديوان حسان بن ثابت**،تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الإندلس، بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن (ت 1398هـ)(د.ت) **تلبيس إبليس**، دار الكتب العلمية ط1.

ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس الرومي(1977م)، **ديوان ابن الرومي**، تحقيق د حسين نصار، مطبعة دار الكتب، مصر.

ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت 1089هـ)(د.ت) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار التراث العربي.

ابن بطوطة، محمد بن عبد ا (ت 779هـ - 1987م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار**، شرحه وكتب حواشيه, طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي) (1999م)المقدمة المسماة **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وهو تاريخ وحيد عصره،** دون تحقيق،دار الكتاب المصري ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع, ط1.

ابن خلدون، (عبد الرحمن بن خلدون المغربي) (1959م)، **شفاء السائل لتهذيب المسائل،** بيروت(د.ط).

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني،(ت456هـ)(1982م) **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،** تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ط5.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي(ت322هـ)(1982م)، **عيار الشعر،** تحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ابن عجينبة,أحمد بن محمد بن الحاتمي(د.ت),**إيقاظ الهمم في شرح الحكم العطائية**,دار الكتب المصرية,مصر.

ابن عربي، محي الدين محمد بن علي (1999م) **اصطلاحات الصوفية**،تقديم عبد الحميد صالح حمدان دار إحياء التراث العربي، بيروت ,ط2

ابن زهير,كعب (1950م) **ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى**،تحقيق: مكي العاني، الدار القومية للطباعة والنشر، ط1.

ابن زهير,كعب(2008م)**ديوان كعب بن زهير**,تحقيق درويش الجويدي,المكتبة العصرية,صيدا,ط1

ابن قتيبه، عبد ا بن مسلم،(ت276هـ)(1982م) ، **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، (د.م).

ابن كثير,أبو الفداء إسماعيل بن عمر, (ت774هـ)(1999م) **تفسير ابن كثير**, تحقيق سامي سلامة ,دار طيبة للنشر والتوزيع,طيبة, ط2

ابن منظور، أبو لفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ) (د.ت) **لسان العرب،** اعتناء أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار أحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

أبو مخرمة، أبي محمد عبد ا الطيب بن عبد ا ، (1926م)، **تاريخ ثغـر عـدن،** مطبعة بريل، في مدينة ليدن،ط1.
أبو نعيم أحمد بن عبد ا ، (1980م)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3.
الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بـردي (ت 874هـ ـ)(د.ت) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب,وزارة الثقافة والإرشاد القومي,المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر,ج11.
الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت772)(د.ت) **طبقات الشافعية**، تحقيق كمـال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية.
الآلوسي، عادل كامل، (1999م)، **الحب والتصوف عند العرب**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1.
امرؤ القيس، **ديوان امرئ القيس،** (2007م)، شرح محمد الاسكندراني ونهاد رزق، دار الكتاب العربي,بيروت,ط3.
أمين، بكرى شيخ (2007م) **مطالعات في الشعر المملوكي والعثمـاني**، دار العلـم للملايين،بيروت ط14.
أنيس، إبراهيم (1972م) **موسيقى الشعر**، مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة، ط5.
أنيس ,ابراهيم (1961م**) الأصوات اللغوية**، دار النهضة العربية، القاهرة،ط3
البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل (ت458هـ ـ)(1981م) **صحيح البخـاري**، دار الفكر للطباعة والنشر,القاهرة.
بدوي,عبد الرحمن (1978م) **شطحات الصوفية** ,الجزء الأول ابو يزيد البـسطامي, وكالة المطبوعات ,الكويت,ط3.
بدوي، عبد الرحمن (1966) **شهيدة العشق الإلهي,رابعة العدوية**، مطبعة النهضة المصرية،القاهرة,ط2.
البطل، علي (1980م) **الصورة في الشعر العربي**، حتى أخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت، ط1.

البغدادي،اسماعيل باشا (1982م) **إيـضاح المكنـون فـي الـذيل علـى كـشف الظنون**،تحقيق محمد شرف الدين ورفعت الكليسي, دار الفكر,مصر.

البغدادي، إسماعيل باشا، (1982م)، **هدية العـارفين أسـماء المـؤلفين و أثـار المصنفين من كشف الظنون**، دار الفكرالعربي.

بكار، يوسف، (1982م)، **بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضـوء النقـد الحديث**، دار الأندلس،بيروت، ط2.

بنعماره، محمد (2001م) **الأثر الصوفي في الشعر المغربي المعاصر**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء،ط1.

البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد الصنهجاني، (ت696هـ)(1973م)، **ديـوان البوصيري**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة البابي الحلبي,مصر، ط2.

البيهقي، أحمد الحسين بن علـي (ت 458هـ ـ)(1925م) **الـسنن الكبـرى**، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ط1.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سوره(ت279هـ)(1980م) **سنن الترمذي** دار مكتبة دار الدعوة(د.م).

التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي (1986م) **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الثقافة ، القاهرة, ط4.

الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك (ت429هـ)(1983م) **يتيمة الدهر في محاسـن أهل العصر**،شرح وتحقيق مفيد محمد قميحه،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1.

الجاحظ،أبو عثمان عمر بن بحر(ت255هـ)(د.ت) **البيان والتبيين**، تحقيق، عبـد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، لبنان,ط1.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت255هـ)(1965م) **كتاب الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2.

الجرجاني ، علي بن محمد، (1986م)، **التعريفات**، دار الشؤون الثقافية, بغداد,ط1.

الجرجاني، عبـد القـادر (د. ت)، **نظريـة الـنظم**، وليـد محمـد مـراد ، دار الفكر,مصر,ط1.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت471هـ)(1988م)، **دلائل الأعجاز في علم المعاني**، تحقيق محمد عبده، محمد محمود الشنقيطي، راجعـه محمـد ارشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز (ت 392هـ ـ) (د.ت) **الوسـاطة بـين المتنبـي وخصومه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت.

جينيت,جيرار (1985)، **مدخل لجامع النص**، ترجمة عبـد الـرحمن أيـوب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1.

الحاتمي، محمد بن الحسن(1979م) **حلية المحاضرة في صناعة الـشعر**، تحقيـق جعفر الكناني,دار الرشيد,بغداد,ط2.

حاوي، ايليا سليم، (1959م)، **فن الوصف وتطوره عند العرب**، دار الثقافة, بيروت

الحلاج، الحسن بن منصور (1976م)، **ديوان الحلاج**، تحقيـق: كامـل مـصطفى الشيبي، بغداد، ط1.

الحموي,شهاب الدين أبي عبد ا ياقوت بـن عبـد ا (ت626هـ ـ)(د.ت)معجـم البلدان,تحقيق فريد عبد العزيز الجندي,دار الكتب العلمية.

الحنيفي، عبد المنعم، (1980م)، **معجـم مـصطلحات الـصوفية**، دار المـسيرة، بيروت,ط1.

الخزرجي، علي الحسن (ت812هـ)(1911م) **العقود اللؤلؤية في تـاريخ الدولـة الرسولية**، ،تحقيق محمد بن على الأكوع تنقـيح محمـد بـسيوني,مركـز الدراسات والبحوث اليمني,اليمن.

خليفه، حاجي، مصطفى بن عبدا القسطنطيني (ت 167هـ ـ)(1982م) **كـشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر,القاهرة,ط1.

الدمشقي، تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي (ت851هـ)(د.ت) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، حققه عدنان درويش(د.ط).

الراضي، يحيى، (2009م)، **الحب في التصوف الإسلامي** ابن العربي أنموذجاً دار التكوين للتأليف والنشر، ط1،.

الرافعي، مصطفى صادق، (1974م)، **تاريخ آداب العربية**، دار الكتـاب العربـي، بيروت، ج2، ط4.
الرباعي، عبد القادر (1997م) **الصورة الفنية في النقد الشعري** دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
الزركلي، خير الدين (1984م) **الإعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط6.
الزعبي، أحمد (2000م) **التناص نظرياً وتطبيقياً**، مؤسسة عمون للنشر والتوزيـع، عمان،ط2.
زيدان، جرجي، (1967م)، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار مكتبة الحياة، بيروت.
السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت771هـ)(د.ت)**طبقات الـشافعية الكبـرى**، دار المعارف,القاهرة، ج3.
سرور، طه عبد الباقي، (1981م)،الحلاج-الحسين بن منصور- **شهيد التـصوف الإسلامي**، دار النهضة، مصر-القاهرة,ط3
سلام، محمد زغلول (1970م) **الأدب فـي العـصر المملـوكي**، دار المعـارف، مصر,ط1.
السلامي، تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع (ت 778هـ)(1982م) **الوفيـات**, حققه صلاح مهدي عباس,وبشار عواد معروف, مؤسسة الرسـالة,بيـروت ط1.
السلمي، محمد بن الحسين، (1985م)، **غلطات الـصوفية**، تحقيـق: عبـد الفتـاح النادي.(د.ط)
سليم، محمود رزق (1965م) **عصر سلاطين المماليك**، مكتبة الأدب، القاهرة,ط2.
السهروري البغدادي، عبد القاهر بن عبد ا (د. ت) **عوارف المعـارف، ملحـق بنهاية الجزء الخامس من أحياء علوم الدين للغزالي**، دار الفكر، بيروت.
السيوطي,عبد الرحمن(د.ت)**لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق محمد أحمد عبـد العزيز، دار الكتب العلمية.
الشافعي، محمد بن إدريس،(ت204هـ)(2008م)، **ديوان الأمام الشافعي اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي**، دار المعارف، بيروت ط5.

الشايب، أحمد (1976م) **الأسلوب**، مطبعة السعادة، مصر، ط7.

شرقاوي، حسن، (1987م)، **معجم الألفاظ الصوفية**، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع القاهرة,ط3.

شـلبي، أحمـد، (1978م) **موسـوعةالتاريخ الإسـلامي**، مكتبـة النهـضة المصرية,مصر,ط1.

الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ)(د.ت) **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعارف,بيروت.

صالح، مخيمر، (1986م) **المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري**، دار مكتبة الهلال، بيروت والدار العربية للنشر, عمان,ط1.

ضيف، شوقي، (1971م)، **فصول في الشعر ونقده**، دار المعارف بمصر، ط2.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (310هـ)، (د. ت)، **تاريخ الرسل** دار المعارف، مصر، ط2.

الطبطباني، السيد محمد حسين (د.ت) **الميزان في تفسير القرآن**، بيروت مؤسـسة بيروت، ج3.

الطوسي، عبد ا بن علي(د.ت)**اللمع في التصوف** تحقيق عبد الحليم وطـه عبـد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ,مصر.

عباس، إحسان (1959م) **فن الشعر**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،ط1.

عبد الحق، منصف، (1988م)، **الكتابة والتجربة الصوفية** (نموذج محي الدين بـن عربي)منشورات عكاظ,الرياض،ط1.

عبد العال,أحمد,(د.ت)الأدب الصوفي اتجاهاته وخصائصه,(د.ط)

عبـد الـدايم، صـابر (1984م) **الأدب الـصوفي اتجاهاتـه وخصائـصه**، دار المعارف,بيروت،ط2.

عبد المولى، محمود (2001م) **شهاب الـدين الـسهروردي المقتـول والحكمـة الاشرقية الصوفية**، تونس,ط3.

عبدا ، محمد حسن، (1984م)، **الصورة الفنية والبناء الشعري**، دار المعـارف، القاهرة، ط1.

العبيدي، جمال نجم (2006م) **لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، دار زهران، عمان، ط1.

العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت 852هـ)(د.ت)**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، حققه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.

العسكري، أبو الهلال(د.ت) **الفروق اللغوية**، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت, لبنان.

العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ)(1984م) **كتاب الصناعتين**،الكتابة والشعر، تحقيق مفيد محمد قميحه، دار الكتب العلمية,بيروت،ط2.

عصفور، جابر أحمد، (1978م) **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، دار المعارف، مصر,ط2.

عودة، أمين يوسف (2001م) **تجليات الشعر الصوفي قراءة في الأحوال والمقامات**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط1.

عوني الشريف، (د.ت)، **ترتيب أحاديث الجامع الصغير**، مكتبة المعارف، الرياض,ط3، ج1.

عياد، شكري، (1978م)، **موسيقى الشعر العربي**، مشروع دراسة علمية، دار المعرفة،القاهرة، ط2.

عيد، رجاء، (1978م)، **التجديد الموسيقي في الشعر العربي**، منشأة معارف الإسكندرية، مصر، ط2.

فرحات،يوسف، (2008م)، **ديوان مجنون ليلى**، دار الكتاب العربي، بيروت.

فضل، صلاح، (1993م)، إنتاج الدلالة الأدبية_ **قراءه في الشعر القصصي المسرحي**، هيئة مصر للثقافية، القاهرة،ط3.

الفيروز أبادي,مجدي الدين بن محمد بن يعقوب (ت 817هـ)(1977م) **القاموس المحيط** ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب,مصر,ط2.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (2003م) **المصباح المنير**، دار الحديث، القاهرة,ط7.

القرطاجني، حازم أبو الحسن (ت684هـ)(1981م)**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تقديم محمد الحبيب بن الخوجه دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط2.

القرعان، فايز (1977م) مجال الصورة في شعر عبيد بن الأبرص، **مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية**، المجلد 24/ العدد2.

القسطنطيني,عبد ا (ت1067هـ)(1982م)كشف الظنـون عـن أسـامي الكتـب والفنون,دار الفكرالعربي,

القشيري، عبد الكريم بن هوزان، **الرسالة القشيرية**، مطبعة انتشارات بيدار ,تحقيق محمود بن الشريف,ط1.

القلقشندي، أحمد بن علي الغزاري، (ت821هـ)(1922م)، **صـبح الأعـشى فـي قراءة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر,ط1.

القيرواني، أبو الحسن علي بن رشيق(ت456هـ) (1981م)**، العمدة في محاسـن الشعر آدابه ونقده**، تحقيق،محمد محي الـدين عبـد المجيـد، دار الجيـل، بيروت، ج1، ط1.

الكاشاني، عبد الرزاق، (1413هـ)(د.ت) **معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق عبد العال شاهين،دار المنار ط1.

كريستيفيا(جوليا) (1991م) **علم النص**، ترجمة مزيد الزاهي، مراجعة عبد الجليل، دار توبقال للنشر والتوزيع الدار البيضاء، المغرب، ط1.

الكلاباذي، أبو بكر محمد (1986م) **التعرف لمذهب أهل التـصوف**، دار الإيمـان، دمشق، ط1.

لوى ماسينيون، (1964م)، **شخصيات قلقة في الإسـلام**، دار النهـضة العربيـة, القاهرة,ط2.

مبارك، زكي (2004م) **التصوف الإسلامي في الأدب والأخـلاق**،مكتبـة الثقافـة الدينية,القاهرة,ط2

مبارك، زكي(د.ت) **المدائح النبوية فـي الأدب العربـي**، دار الـشعب، القـاهرة، بيروت.

المجذوب، عبد ا الطيب (1970م) **المرشد إلى فهم أشعار العـرب وصـناعتها،** تقديم طه حسين،دار الفكر، بيروت،ط2.
المحاسنه، علي ارشيد (1993م) شعر الرثاء في حروب الردة، دراسة موضـوعيه وفنيه، **مجلة مؤتة للبحوث،** م24، ص119-166.
محمد، السيد إبراهيم (1985م) قصيدة البردة لكعب بن زهير ومكانتها في التـراث الصوفي، **مجلة ألف،** عدد ربيع,ص73.
المديني، أحمد(1989م) **في أصول الخطاب النقدي** الجديدة، دار الشؤون الثقافيـة العامة،بغداد، ط2
مراد، وليد محمد(د.ت) **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغويـة عنـد عبد القاهر الجرجاني،** دار الفكر، بيروت
مسلم , أبو الحسن مسلم بن الحجاج القـشيري النيـسابوري (261هـ ـ)(1980م) **صحيح مسلم** تحقيق فؤاد عبد الباقي رئاسة إدارة البحوث, الرياض,ط2.
معتوق، أحمد (1413هـ)، طريقة اللفظية، **مجلة التوباد،** الريـاض، عـدد (15)، ص(5).
المعري، أبو العلاء احمد بن عبد ا بن سلمان (2004م) **ديوان اللزوميات،**لـزوم مالا يلزم وحيد كبابه، دار الكتاب العربي.
مكي، الطاهر أحمد، (1986م) **الشعر العربي المعاصر،** دار المعارف، مصر، ط3.
المكي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت832هـ)(د.ت) **العقـد الثمـين فـي تاريخ البلد الأمين،** تحقيق، فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط2
المناوي، محمد (1990م) **التوفيق على مهمات التعريف معجم اصـطلاح لغـوي ،** تحقيق رضوان الداية,دار الفكر,بيروت,ط1.
منصور، إبراهيم (1995م) **الشعر والتصوف الأثر الصوفي فـي الـشعر العربـي المعاصر،** دار الأمين للطباعة والنشر، ط1.
نجم,مفيد (1997م**) التناص ومفهوم التحويل في شعر محمد عمران،**مجلة الموقف الأدبي، أيلول /تشرين أول / السنة السابعة والثلاثين.
نصر،عاطف جودة (1982م) **شعر عمر بن الفارض،** دار الأندلس بيروت، ط1.

النويهي، محمد (د.ت)، **الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ج1.

نيكولسون (رينولد) (1956م) **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، ترجمة: أبو العلا عفيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة,ط1.

اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت 768 هـ)(1995م) **روض الرياحين في حكايات الصالحين الملقب نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر**، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر, ط2.

اليافعي، عبد الله بن أسعد، **(**1337هـ -1997م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان,** وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية ط1 وطبعة دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط 1,حيد اباد الهند.

اليافعي، عبد الله بن أسعد، (1958م)، **الدار النظيم في خواص القران الكريم**، مصطفى البابى الحلبي وأولاده,مصر, ط 3.

اليافعي، عبد الله بن أسعد، (2003م) **الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز**، تحقيق محمد أديب الجاد، دار الكتب العلمية,بيروت ط1.

اليافعي، عبد الله بن أسعد(2006م **) خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر** ،تحقيق الشيخ احمد فريد المزيدي قدمه جودة المهدي دار الآثار الإسلامية بربي –سيرلانكا ط1

اليافعي، عبد الله بن أسعد(2004م) **نشر المحاسن الغالية**، تحقيق عبد الناصر سعدي أحمد عبد الله مكتبة الثقافة الدينية ط1 , طبعة دار الكتب العلمية وضح حواشيه خليل عمران المنصور, ط1, 2000م، طبعة مصطفى البابي الحلبي مصر تحقيق إبراهيم عطوه(1990م) عوض ط2

يوسف، حسني عبد الجليل، (1989م)، **موسيقى الشعر العربي**،دراسة فنيه وعروضيه، الهيئة المصرية العربية للكتاب,القاهرة ج 1.

اليوسف، يوسف سامي (1994م) **ابن الفارض شاعر الحب الإلهي**، دار الثقافة، مصر، ط1.